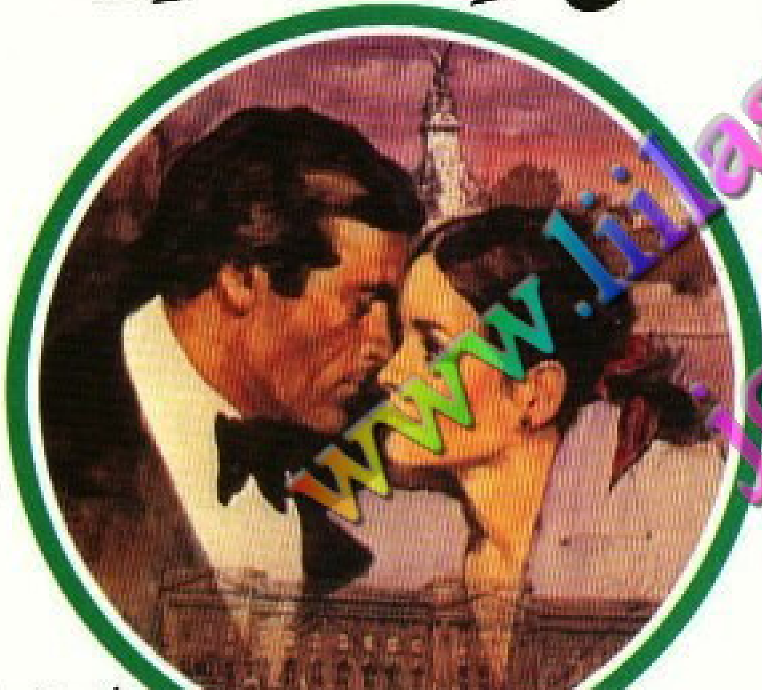
روايات رومانسية عالمية

عبير

شارلوت لامب

لِمَنْ ترُفّ الجفونُ



مكتبة زهران

JOHN LEE

شارلوت لامب

لمن ترف الجفون

مكتبة زهران

روايات رومانسية عالمية

عبير

لِمَنْ ترُفّ الجفونُ

الفارق بين

الوهم والحقيقة لا يكاد يكون واضحاً

في معظم الأحيان، وخاصة في بداية الحياة حين تختلط

المشاعر والأحاسيس بشكل قوي... احبت لورا توم الحبيب

الهادىء صديق العائلة منذ الصغر وانتظرت يوم تتويج الفر[illegible]ثقة

على نقيض منه، كان راندال رجلاً ثرياً متسلطاً دخل حياتها كعا[illegible]

هوجاء وقلبها راساً على عقب . وجدت لورا نفسها في وضع يستحيل معه

رفض الزواج من رندال . اتصغي لنداء القلب يشدها نحو توم ؟ ام

لنداء العقل يجعلها تقبل براندال لتنقذ وظيفة والدها وحياة

والدتها ؟ كيف تخرج الفتاة الرقيقة من المأزق الذي

هز كيانها وخلخل توازنها ؟

مكتبة زهران

جمهورية مصر العربية

١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر

ت : ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٧٨٦٤٨٠

١ـ الحيّ الشرقي

كانت الرياح تعصف بشدة في تلك الليلة الباردة على ضفاف نهر التايمز الذي يخترق لندن. وكانت الزوارق الراسية تصدر جلبة تختلط مع حفيف اوراق الاشجار المنتشرة على ضفتي النهر، يعلوها احياناً غطيط بعض الفقراء الذين يفترشون الارض ويلتحفون الجرائد البالية في الحي الشرقي للمدينة.

قالت لورا هالام وهي تجيل نظراتها في الشارع:

«لندن مدينة موحشة تماماً في الليل».

فعلقت رفيقتها بات باسيِت:

«لم يجبرك احد على مرافقتي، لقد انذرتك بان هذا الجزء من

المدينة مفزع بعض الشيء».

«انا سعيدة جداً لأنني اتيت، فهؤلاء الاطفال بحاجة لمن يعتني بهم بعد موت والدتهم ودخول والدهم السجن».

«مثل هذا يحدث يومياً هنا، ونحن نحاول جهدنا لتخفيف الالم عن هؤلاء البائسين. والاطفال الذين زرناهم الليلة محظوظون بالنسبة الى غيرهم لان خالتهم ستعتني بهم، في حين اننا نرسل الكثيرين ليعيشوا مع غرباء لا يمتون اليهم بصلة. قلبي مطمئن بالنسبة الى هذه العائلة فالروابط بين افرادها قوية مما يسهل عليهم خوض معركة الحياة».

كان لدى لورا انطباع بان بات لا تستسيغ صحبتها تماماً ولكنها لم تكن تعرف سبب ذلك، هل لان بات بحكم عملها كموظفة في الخدمات الاجتماعية، ترى الفارق واضحاً بين مستوى معيشة لورا ومستوى معيشة الفقراء المعذبين؟ أم لانها تعتبر لورا فضولية بعد ان اصرّت على مرافقتها؟ ولورا لا تريد بالطبع ان توضح لبات ان دوافع هذه الزيارة شخصية تتعلق بالحب الشديد الذي تكنه للطبيب توم المنتدب من قبل وزارة الصحة للمنطقة التي تعمل فيها تحت اشرافه.

اكملت الفتاتان سيرهما ووقع أقدامهما يتردد في الشارع شبه المهجور. ولم يقطع هذا الصمت المخيف سوى هدير دراجة نارية يقودها شاب بسرعة جنونية. بعد ذلك خيّم السكوت من جديد.

عند مرورهما قرب دكان قديم لمحت لورا رجلا ينام عند المدخل. ارتعدت فرائصها لرؤيته في حين ان بات لم تكترث

له، لانها اعتادت على مثل هذه المشاهد ولأنها مرّت في تجارب كثيرة تعرضت خلالها للنشل والضرب. لكن ذلك لم يوهن عزيمتها ويدفعها الى ترك وظيفتها السامية مما جعل توم يحترم شجاعتها وتفانيها في العمل.

تحت نور مصباح الشارع تفرّست لورا في ملامح بات جيداً: قصيرة، جسمها ممتلىء، وجهها عابس ابداً كأنه يعكس المشاكل التي تتعرف اليها يومياً وتحاول حلها، فجأة سألتها بات:

«هل ان توم طلب منك المجيء معي الليلة؟».

ترددت لورا طويلا قبل ان تجيب:

«كلا، لقد كانت فكرتي».

«وماذا تنتظرين ان تنالي من هذه التجربة؟ ربما لمحة عن حياة النصف الآخر من المدينة».

«ما ابتغيه هو لمحة عن عالم توم».

احست لورا بالحمرة تعلو وجهها. لماذا خانها لسانها وكشف لبات شيئاً تريد بقاءه دفيناً في اعماقها؟

قطبت بات جبينها قائلة بشيء من القسوة:

«وهل انت مغرمة بتوم؟».

ضحكت لورا بحياء واجابت:

«انه سؤال شخصي لا اعتقد انني اريد الاجابة عليه».

«لقد اجبت لتوك. لكنني اريد ان اقدم لك نصيحة مع علمي بانه لا احد يتقبل النصح هذه الايام. انك تضيعين وقتك مع توم، فهو ليس الرجل الملائم لك».

JOHN LEE

«انت لا تعرفينني جيداً يا بات، فكيف تحكمين على شعوري نحو توم؟

«اعرف توم وهذا يكفي».

لم يقطع الحوار المتوتر سوى شبح رجل خرج من الظلام. ارتعدت لورا لرؤيته يقترب نحوهما، لكنها هدأت بعد ان رأت بزته العسكرية.

حيّا الشرطي بات مبتسماً:

«مساء الخير يا آنسة باسيت. انه لطقس رديء. أليس كذلك؟ هل رأيت جوي برنتيس؟ لقد هرب من المدرسة من جديد وامه قلقة جداً عليه. مسكينة هذه المرأة، مذ هجرها زوجها لم تعد قادرة على لجم ابنها. وعدتها باطلاعك على امر غيابه وبانك ستهتمين بالامر».

تنهدت بات وقالت:

«سأمر بها غداً لأرى ما بامكاني عمله».

اضاف رجل الشرطة:

«ماذا حدث بالنسبة الى العائلة التي بدأت التحقيق حول وضع افرادها؟».

«قصدت مركز الشرطة لاجمع معلومات عن الوالد الفارّ لكنهم لم يجدوا له اثراً بعد. ولا يمكننا بالتالي اعتباره هاجراً لعائلته قبل التثبت من ذلك او قبل مرور شهر على غيابه على الاقل».

نظر الشرطي الى لورا متعجباً وقال:

«مساء الخير يا آنسة، لا شك انك تتدربين على يديّ الآنسة

باسيت».

«انا ارافقها فقط».

قالت لورا ذلك وهي تعلم ان بات متضايقة من وجودها. لكنها لم تكن لتتورع عن مجابهة اي كان لتتعرف الى عالم توم وعمله.

ودّعها الشرطي ومشى بسرعة في اتجاه شارع آخر حتى اختفى تماماً في الظلام.

بعد بضع دقائق بدد السكون صوت سيارة مسرعة تجاوزت الفتاتين ثم توقفت امامهما فجأة. كاد قلب لورا يتوقف من الخوف في حين اخذت بات تحدق بتعجب. وجود سيارة فخمة في حيّ فقير امر مستغرب. لا بد ان مالكها لا يقطن في هذا الشارع ذي المنازل المتداعية.

ترجل ركاب السيارة، وهم اربعة شبان، الواحد تلو الآخر. وقفوا امام الفتاتين وهم يقهقهون ويتمازحون. ثيابهم الانيقة تدل على سعة عيشهم من جهة، وتبعث على الاطمئنان من جهة اخرى فهم لا يبدون لصوصاً.

سألت بات ببرود:

«ماذا تريدون؟».

التصقت لورا برفيقتها محاولة اخفاء خوفها الشديد، وهي تشعر بان ساقيها تأمرانها بان تطلقها للريح. انفجر الشبان ضحكاً وتقدّم احدهم متمايلا وقال:

«نحن نبحث عن كنز، وأصول اللعبة تقضي بان نجلب اربعة اشياء: خوذة شرطي، اشارة ممنوع المرور، شارة طبيب

وقفاز امرأة. حصلنا على هذه الاغراض الا آخرها ويبدو اننا سنحصل عليه الآن».

نظرت بات الى السيارة، فرأت على الزجاج الخلفي شارة طلاب الطب. فقالت بهدوء وثقة:

«انها لعبة من الاعيب الطلاب الجامعيين، اليس كذلك؟».

حدق الشاب فيها وصاح:

«يا للهول انها مخيفة! عسى ان تكون رفيقتها اجمل بقليل!».

في هذه اللحظة تقدم شاب آخر يبدو من مشيته انه اكثر اتزاناً. تكلم وفي نبرته شيء من الوقاحة.

«اعتقد ان علينا البحث في مكان آخر، فالسيدتان لا تظهران التعاون الكافي».

استدرك الشاب الاول المصرّ على اكمال لعبته:

«لا وقت لدينا للاختيار يا راندال، يجب ان نسرع والا خسرنا اللعبة- ثم نظر الى بات واضاف- انت اصبحت خارج الموضوع سنحاول مع صديقتك».

تراجعت لورا حتى التصقت بعمود المصباح مما مكن الشبان من مشاهدة جمالها الباهر. عيناها خضراوان كعيني هرّ غاضب، شعرها خيوط ذهبية تشع في ظلام الليل الدامس.

صفّر الشبان الثلاثة اعجاباً، في حين تقدم منها الرابع الاكبر سناً وقال:

«يا لجمالك الصاعق!».

صاحت لورا بغضب وهي تحاول ابعاد يده عنها:

«دعني ايها الحقير!».

«لهجتك تدل على انك لست من هذه المنطقة، فماذا تفعلين هنا بحق السماء؟ فتاة مثلك مكانها في القصور لا بين الاكواخ».

تدخلت بات مهددة:

«انا موظفة في وزارة الخدمات الاجتماعية ومسؤولة عن هذه المنطقة. لذلك انصحكم بالابتعاد لان الجميع سيغضبون اذا حاول احد ان يمسنا بسوء. صيحة واحدة تكفي ليجتمع شباب الحي».

ضحك الشبان وقال احدهم:

«لن نذهب قبل الحصول على مبتغانا يا عزيزتي».

«اعتقد ان هذا الامر من صلاحياتي، قال المدعو راندال بنبرته الوقحة والمتسلطة. ثم تقدم من لورا وطبع قبلة «سريعة» على خدها قبل ان ينتزع قفازها بخفة. لم تدرك الفتاة المسكينة ماهية الاحاسيس التي انتابتها عندما لامسها الرجل، شعرت وكأنها في عالم آخر مليء بالسحر والغموض. ولم تفق الا على صوته المتهكم:

«يبدو ان القبلة لم تزعجك اطلاقاً يا حلوتي».

غمر لورا كره كبير للرجل الذي اذلّها بهذه الطريقة المشينة واثار فيها احاسيس وانفعالات لم تعهدها من قبل. لم يكن بامكانها الا استعمال العنف فصفعته بقوة. لم يغضب بل على العكس افترّ ثغره عن ابتسامة عريضة ساخرة وتحسس آثار الصفعة قائلاً:

«لقد تركت بصماتك الجميلة على وجهي يا عزيزتي مما يجعلني لا انساك».

صاحت بات في وجهه بغضب:

«ارعبت الفتاة، دعها وشأنها».

ضحك الشبان من جديد وصعدوا الى السيارة. ادار راندال المحرّك، وما هي الا دقيقة حتى اختفوا مثل حلم مزعج. نظرت بات الى لورا بقلق:

«انذرتك بأن المجيء الى هنا ليلا محفوف بالمخاطر، فلم تقتنعي، سيلومني توم لانني اصطحبتك. كيف سأبرر موقفي امامه غداً؟».

«لا تخافي فأنا لست طفلة، اصبحت في العشرين واتحمل مسؤولية ما افعل».

«وجّهي هذا الكلام لتوم غداً. هيّا سأوصلك الى البيت».

استقلت الفتاتان الباص المتوجه الى الحيّ الراقي حيث تسكن لورا مع والديها. بعد قليل ترجلتا وسارتا في شارع محاط بالاشجار حتى بلغتا بوابة المنزل.

«ستكونين بخير الآن يا لورا».

«شكراً على كل شيء. كانت تجربة مثيرة فأنا احب خوض المغامرات لاتعلم منها».

«ارجو ان تكون المغامرة قد أظهرت لك الفارق جلياً بين عالمك والعالم القاسي الذي اختاره توم لنفسه».

نظرت لورا الى بات وهي تتساءل عما تبتغيه من محاولتها اظهار حبها لتوم وكأنه فاشل لا محالة.

دخلت لورا الى البيت لتسمع امها تناديها من غرفة الجلوس:

«هذه انت يا حبيبتي؟ اين كنت في مثل هذا الوقت المتأخر؟».

«كنت برفقة بات نقوم ببعض الزيارات».

السيدة هالام، والدة لورا، امرأة نحيلة في الخمسين من عمرها. شعرها الابيض كان ذهبياً ايام الصبا كشعر ابنتها. صحتها الضعيفة تجبرها على البقاء في البيت وعدم القيام باي عمل مجهد، فهي قد تعرضت لنوبتين قلبيتين كادتا ان تقضيا على حياتها. لذلك يعاملها كل من زوجها وابنتها معاملة رفيقة للغاية خوفاً من اي نكسة جديدة. هي تحاول احياناً رفض الواقع والقيام باي نشاط يشعرها بلذة الحياة.

لكن اوامر الطبيب في هذا الصدد صارمة، لان النوبة الثالثة ستودي بها دون ادنى شك.

كرست لورا نفسها لخدمة امها منذ ان تركت المدرسة. اختارت هذا الطريق طوعاً ورفضت دخول الجامعة، على الرغم من اصرار والدتها، لانها لن تجد احداً يقوم بمهمة العناية بالمرأة المريضة نيابة عنها.

شعرت لورا بالارتياح في هذه الغرفة مع امها. السيدة هالام صاحبة ذوق رفيع في تزيين المنزل. جعلت الغرفة مريحة وجميلة في آن، الوان الستائر متناسقة مع لون السجادة ولون المقاعد المريحة والدافئة. في كل زاوية مجموعة من الزهور تضفي على الغرفة جواً مفرحاً.

سألت الفتاة امها:

«اين والدي الليلة؟».

«وذهب ليمضي السهرة مع اصدقائه. تعلمين انه يملّ من هدوء البيت».

السيد هالام رجل اجتماعي يحب الاختلاط بالناس والمشاركة في السهرات والحفلات. منزله هادىء جداً ويثير في نفسه شيئاً من الكآبة والانقباض. لذلك فهو يمضي معظم السهرات خارج البيت. شعرت لورا بالحرج والاضطراب. كان يجدر بها الا تخرج من البيت وتترك امها وحدها.

بدأت السيدة هالام بجمع ادوات الحياكة، التي تمارس بها نشاطها الوحيد، لتستعد للنوم.

«سأصعد الى غرفتي الآن يا حبيبتي لورا».

«هل تريدين بعض الحليب يا اماه؟».

«هذا لطف منك. لكنني اخشى احياناً ان اكون حائلا بينك وبين التمتع بالحياة. بامكاننا توظيف امرأة تعتني بي عندما تودين الخروج، فلا يجوز لصبية جميلة مثلك سجن نفسها في البيت».

«ارجوك يا امي، لا تقولي مثل هذا الكلام. انا احب الاعتناء بك. ثم ان توم يصطحبني مرّة في الاسبوع الى المسرح...».

قاطعتها امها:

«اذا سمح وقته بذلك. اشغاله تمنعه من ان يصطحبك مرّة في الشهر لا في الاسبوع. حياة الطبيب صعبة خصوصاً بالنسبة الى زوجته».

«هو لم يطلب مني الزواج بعد! فلماذا تتكلمين عن الحياة

الزوجية؟».

كانت امها تعلم مدى الحب الذي تكنه لتوم منذ صغرها فلورا لم تكن تخفي عنها شيئاً.

«توم شاب ممتاز يا بنيتي. هو طبيب لامع كأبيه وانسان رفيق. لكن عليك ان تفكري جيداً قبل اتخاذ اي قرار. لا اريد التدخل في ما لا يعنيني، لكني قلقة على مستقبلك ولا اريد لك الا كل الخير».

عانقتها لورا وقالت:

«انا اعرف ذلك، لا تقلقي بشأني... توم لم يأت على ذكر الزواج بعد فهو يعتبرني صغيرة على مثل هذه الامور. انه يعاملني وكأنني ما زلت الطفلة التي لاعبها يوم كان طالباً....».

ذكّرتها هذه الكلمات بالحادثة التي تعرضت لها منذ قليل، احمرّ وجهها واضطربت فقلقت امها الرقيقة.

«ما الامر يا بنيتي؟».

«لا شيء مهم. تعرّضت وبات لمضايقة بعض الشبان وانتهى الامر بسلام».

«انها طباع جيل اليوم، حتى توم كان طائشاً ايام الدراسة!».

وغرقت الاثنتان في ضحكة طويلة.

صعدت السيدة هالام الى غرفتها وتوجهت لورا الى المطبخ لتحضر الحليب.

فجأة ارتسمت في مخيلتها صورة راندال، الرجل الذي طبع قبلة على خدها ونشل قفازها. اثار هذا الشخص في نفسها حنقا

وكرهاً شديدين. لقد مقتته من اول نظرة. لكن شيئاً ما كان يشدها اليه. غرائزها ربما. شيء في داخلها جعل جسمها يتجاوب معه.

وضعت رأسها بين يديها كأنها تحاول طرد هذا الشعور الذي تخجل منه نفسها. كيف يمكن لفتاة مثلها ان تستجيب لقبلة رجل وقح... بينما حبها لتوم نيكول لم يثر في نفسها يوماً اي انفعال كهذا، علاقتها به علاقة روحانية بحتة نقيض ما شعرت به تجاه راندال.

تجاوب جسمها مع رجل غير توم مصيبة، لكن تجاوبه مع رجل اعتبرته مقيتاً مصيبة اعظم وجريمة لا تغتفر.

لم ينتزعها من تأملاتها الا صوت الحليب يغلي. ملأت كوباً وصعدت الى غرفة امها لتجدها غرقت في سبات عميق...

نظرت اليها بحنان، هذه المرأة الرقيقة تشكل هاجساً دائماً في حياتها. فهي تخشى موتها في كل يوم لا بل في كل ساعة ودقيقة في عمرها. العزاء الوحيد هو وجود توم المطمئن الى جانب العائلة.

وبينما هي تستعد للتوجه الى غرفتها اذا بوالدها يطل من الباب.

«مساء الخير يا حبيبتي».

«ابي كيف تخرج وتترك امي وحدها؟».

«كنت انوي الخروج عشر دقائق فقط، لكني التقيت احد الاصدقاء ومرّ الوقت دون ان اشعر».

فجأة انقلب مزاج السيد هالام المرح الى كآبة وقال:

«انا اتعب واشقى لأومن لوالدتك جميع احتياجاتها كما تعلمين، العمل في شركة مرسييه ليس بالامر السهل. احتاج للراحة لأني انسان لا آلة تعمل لانتاج المال كما يعتبرني الحقير مرسييه. هذا الشاب سيودي بالشركة التي بناها ابوه الى الخراب الوشيك».

«نحن نقدّر جهودك يا ابي ونعلم ان عملك في الشركة مرهق ومضنٍ، لكنك تعلم مدى قلقي على امي».

في اي حال، لم تكن الشركة بخيلة مع محاسبها السيد هالام، فالاجر الذي يتقاضاه محترم بحيث مكنه من شراء منزل فخم وتأمين كل ما يلزم للزوجة المريضة من علاجات خاصة وادوية مختلفة. عشرون سنة مضت على عمله في الشركة. عاصرها منذ ان كانت مشروعاً صغيراً بدأه ايف مرسييه المهاجر من فرنسا الى ان اصبحت امبراطورية حقيقية. منذ بضع سنوات تقاعد مرسييه الاب ليدير الدفة مرسييه الابن. شاب حيوي وذكي، في العقد الثالث من عمره.

بدأ السيد هالام بالتذمر من عمله عندما استلم الابن اعمال ابيه. ربما كان سبب ذلك كره هالام للتغيير الذي احدثه الشاب الديناميكي في هيكلية الشركة ونظام عملها.

«المهم ان تكون امك بخير».

«هي بخير يا ابي، لا تقلق. لقد صعدت لتوها للنوم».

«لن تدركي يا لورا مدى قوة الصدمة التي سببها مرض امك لي».

«على العكس، انا اقدر ظروفك واعلم تماماً صدق حبك

لها». كان زواج هالام ناجحاً على الرغم من اختلاف طباعه عن طباع زوجته. هو يحب الحياة، يضج بالنشاط، هي هادئة، رقيقة ناعمة تفضل هدوء البيت على اي شيء آخر. ربما كانت صفات أحدهما تكمل شخصية الآخر وتسدّ الفراغ في نفسه، مما لم يضعف يوماً جذوة الحب بينهما.

«هل تعتقدين يا لورا ان حالتها تسوء؟».

«انا اراها مرتاحة جداً. ورأي الطبيب موافق لرأيي».

«حسناً علينا ان نأوي الى الفراش الآن. تصبحين على خير».

«تصبح على خير يا والدي».

نظرت اليه يصعد الى السلم وهي تتساءل عن سبب شروده في المدة الاخيرة. لاحظت عليه قلقه واضطرابه وكأن شيئاً ما يجعله حذراً مترقباً. . . لربما كان مرض والدتها سبب ذلك. لا فائدة من التحدث اليه في هذا الموضوع فهو رجل كتوم يحتفظ بمشاكله لنفسه.

دخلت لورا غرفتها، جلست على طرف السرير تحتسي بعض القهوة وهي تحاول عبثاً طرد صورة راندال من عينيها. لم تنجح في النوم الا بعد ان قرأت رواية بوليسية ابعدتها عن التفكير به. . . مؤقتاً.

٢ـ لقاء في الحديقة

في اليوم التالي حضر توم لزيارة السيدة هالام. كان يقوم بذلك يومياً مع انه ليس طبيبها الخاص بل تدفعه صداقة قديمة وقوية تربط بين العائلتين. انه شاب وسيم في الثلاثين من عمره، اشقر الشعر، ازرق العينين. اختار الطب كأبيه لكنه لم يصبح جرّاحاً مثله مفضلاً العمل في الحيّ الشرقي للمدينة خدمة للفقراء مؤمناً بالطب رسالة نبيلة. لم يكن يبحث عن الكسب المادي كغيره من الاطباء، لانه يعتبر ان في الحياة اشياء واهدافاً اخرى غير الثراء والمادة. كانت لورا تعتبر توم الرجل المثالي الكامل، احبته منذ الصغر ولم تجرؤ يوماً على مصارحته

بالحقيقة.

بعد ان انهى معاينة السيدة هالام نزل توم الى غرفة الجلوس ليشرب القهوة التي اعدتها له لورا. استقبلته الفتاة بشيء من الاضطراب خوفاً من ان يكون غاضباً لمرافقتها بات من دون موافقته.

«لماذا فعلت ذلك يا لورا؟».

نظرت اليه بحيرة. لم يبد غاضباً وان تكن علامات عدم الرضى واضحة على وجهه الهادىء الباعث على الاطمئنان. هذا الوجه جعل منه الطبيب الاكثر شعبية في شرقي لندن. يتفهّم مشاكل الفقراء، يشجعهم، يعطيهم املا جديداً ونوراً في ظلام حياتهم التعيسة. كان بلسم جراحهم، قبساً في نفق عيشتهم المظلمة. اجابت لورا بعد تردد وبصوت منخفض:

«اردت التعرف على امكنة عملك».

«عديني بانك لن تعيدي الكرة».

«اغاضب انت مني؟».

«غاضب؟ وهل من المعقول ان اغضب منك يا ملاكي البريء؟».

لامست يده خدها الناعم الناضج ببراءة الطفولة. فتنفست لورا الصعداء لعلمها ان حبيبها غير غاضب.

«يا لك من طفلة رائعة يا عزيزتي!».

«ما تزال تعتبرني طفلة يا توم وانا صبية راشدة ناضجة...».

«صبية راشدة وناضجة! وانا كنت افكر باهدائك لعبة في

ذكرى ميلادك!».

لم تكن لورا تدري حقيقة شعور توم نحوها. من جهة كانت تحس بانه يحبها حباً جارفاً، ومن جهة اخرى كان يعاملها كأخ لا كحبيب. هذا التجاذب كان يعذبها ويفقدها التوازن العاطفي الذي تحتاجه فتاة في سنها.

حدّق توم فيها طويلا وقال:

«كنت امزح فحسب يا عزيزتي، انت بنظري فتاة واعية ولا بد ان تجدي يوماً شاباً يبادلك الحب الصادق».

«لا اريد ان يقع في حبي شاب سخيف، اريد رجلا حقيقياً ناضجاً يفهمني».

احست لورا بالحب يغلّف نظرات توم وهي تداعب عينيها وقلبها. لماذا لا يصرّح لها بذلك؟ لماذا يريد اقناعها بانه ما يزال يراها طفلة؟ هل هي مخطئة في تقدير مشاعره؟ اسئلة تعذبها وتقض مضجعها ليل نهار بدون ان تجد لها جواباً شافياً...

«الوقت امامك لتجدي ضالتك المنشودة، فلا سبب للعجلة خاصة انني ساشعر بالحزن لفقدانك...».

قاطعته بلهجة حازمة:

«لن تفقدني ابداً».

وضع توم يده في يدها وقال:

«اخبرتني بات بما حدث مع هؤلاء الشبان البارحة. هل اخافتك الحادثة؟».

«كنت حانقة لا خائفة. من المؤسف ان نجد في مجتمعنا شباناً بهذا القدر من قلة التهذيب».

فور ذكر الحادثة غمرها شعور بالخجل والخزي. وشعرت بأنها خانت حبها عندما حملتها قبلة راندال الى عالم من الاحلام الساحرة.

ادرك توم ان الحديث يحرجها فشدّ يده على يدها اكثر.

«هدفي من عدم السماح لك بمرافقة بات هو تجنيبك حوادث من هذا النوع لان مناطق عملنا لا تليق في الحقيقة بك».

«لا تقلق بشأني يا توم فأنا قوية الشخصية لا أميل مع اول نسمة هواء».

ارتسمت على وجه الشاب ابتسامة رضى.

«انا متأكد من ان شخصيتك صلبة كالصخر يا لورا، لا تزحزحها الرياح العاتية. انت فتاة من نوع خاص ولا احتمل اطلاقاً تعرّضك لاي مكروه. رقتك اللامتناهية تجعلك مختلفة تماماً عن سواك، وتجعلك بعيدة عن المحيط الذي اخترته لنفسي. هو عالم قاسٍ لدرجة اني امنعك من الاقتراب منه بعد الآن...».

«ولكن يا توم...».

اسكتها باشارة من يده واكمل:

«اريد منك وعداً قاطعاً بألا تذهبي الى تلك المنطقة بعد الآن».

«اعدك».

قطع الحوار رنين جرس الباب. وذهبت لورا لترى من القادم في حين صعد توم الى غرفة السيدة هالام ليودعها ويوجه اليها بعضاً من نصائحه.

فتحت لورا الباب لتجد امامها بات. لم تكن تدري سبب الشعور بعدم الارتياح الذي ينتابها كلما ترى هذه الفتاة.

«اهلا يا بات تفضلي».

«جئت لآخذ توم لان سيارته معطلة. هلا ناديته فنحن على عجلة من امرنا. لدينا موعد مهمّ وقد تأخرنا».

في هذه اللحظة اطلّ توم على الدرج الداخلي للمنزل قائلاً:

«بات، تأخرت بعض الشيء».

«لست الملامة لان الازدحام كان اليوم رهيباً».

«لا بأس. لنذهب فوراً لعلنا نصل في الموعد المحدد».

«اسبقني الى السيارة يا توم ريثما اجري مكالمة هاتفية ملحة. هل من مانع يا لورا؟».

«بالطبع لا. اعتبري نفسك في منزلك».

رافقت لورا توم الى السيارة وتركت بات في البيت.

«اهتمي جيداً بوالدتك».

«اهتم انت بنفسك يا توم، فقلقي عليك يكاد يعادل قلقي على امي».

«اشعر وكأني طفل يتلقى النصائح من والدته».

«لا تنس يا توم ان حفل عيد ميلادي اصبح قريباً».

كان هذا الحفل من الفرص النادرة التي تستطيع لورا فيها التمتع برفقة توم.

«ما نوع الهدية التي تفضلين؟».

«اي شيء منك يا عزيزي يعجبني. اختر ما تشاء فأكون راضية».

«انت سهلة الارضاء وقنوعة».

«هذا ليس رأي بات، أليس كذلك؟».

لم يعلّق توم على ملاحظة لورا مما جعلها تدرك انها على حق فيما قالت. فنظرة الفتاة اليها عدائية من دون سبب ظاهر.

خرجت بات مسرعة وفي عينيها بريق هازىء. ادارت المحرّك واقلعت بسرعة دون ان تلتفت الى لورا او تشكرها على المكالمة...

دخلت لورا الى البيت وبدأت تحضير طعام الغداء.

ارتدت السيدة هالام ثيابها ونزلت الى غرفة الجلوس لتمضي خارج السرير الساعات الست التي يسمح بها الطبيب يومياً.

اشتمل الغداء على السمك المشوي وسلطة الخضار وبعض الفواكه.

بعد الغداء حاولت السيدة هالام مساعدة ابنتها في غسل الصحون لكن هذه الاخيرة رفضت ذلك بشكل قاطع تنفيذاً لأوامر الطبيب الصريحة. كانت لورا تفعل ذلك مرغمة لانها تدرك مدى انزعاج امها من قلة الحركة.

«انت ووالدك تعاملانني كطفلة مدللة وهذا ما يضايقني كثيراً».

«انما نفعل ذلك خوفاً على صحتك يا اماه! من واجبنا الحفاظ على كنز ثمين لسنا مستعدين للتفريط به».

«يخيّل اليّ اني سمعت صوت بات باسيت قبل ذهاب توم».

«اتت لتقله بسيارتها».

«فتاة فظة لا تخشى ابداء رأيها بصراحة مهما كان جارحاً».

«لكنها مخلصة في عملها وتوم يقدّر لها ذلك يا امي».

«وانها لا تفعل سوى ما يمليه عليها الواجب. - وأضافت السيدة هالام بثقة- هل تعلمين انها مغرمة بتوم؟».

تجمّد الدم في عروق لورا وقالت بعد جهد:

«ما الذي يجعلك تعتقدين ذلك؟».

«يا لك من فتاة ساذجة! ألم تلاحظي ذلك من نظراتها؟ ألم تتساءلي لماذا هي لا تحبك؟».

بدا ذهول كبير على وجه لورا وهي تفكر في الامر. هذا صحيح، بات تحب توم. والا فلماذا كانت تحاول تفشيل علاقة لورا به. لكن توم لا يبادلها شعورها، بل يعتبرها صديقة فحسب. لورا تعرف ذلك من طريقة كلامه وتصرفاته... توم يحبها هي ولا يحب بات. الامر واضح لا شك فيه.

وصلت السيدة نايت، التي تعتني بالسيدة هالام يومياً بعد الظهر. فاستغلت لورا هذه الفرصة لتخرج للتنزه في الحديقة العامة المجاورة. ارتدت ثوباً ابيض خفيفاً يناسب الطقس الحار المشمس، وهو امر ليس مألوفاً في انكلترا المغرمة بطقسها البارد على مدار السنة.

فيما كانت لورا على اهبة الاستعداد للخروج سمعت طرقاً خفيفاً على الباب. كان الطارق صبياً في العاشرة يحمل بيده علبة رمادية.

«نعم ماذا تريد؟».

«الآنسة لورا هالام؟».

«تماماً».

«كلّفني شخص بأن اسلمك هذا».

ناولها العلبة وتوارى قبل ان تستطيع طرح اي سؤال.

خرجت لورا لترى اذا كان مرسل العلبة ما زال هنا.

كان الشارع خالياً. ربما كانت هذه هدية توم. لكن ذكرى ميلادها تصادف بعد اسبوعين، فالوقت ما زال مبكراً على ارسال الهدايا. فتحت العلبة ودهشت لرؤية محتوياتها. كان فيها اثنا عشر زوجاً من القفازات الحريرية. المختلفة الالوان والمرتفعة الثمن.

اكتشفت مرسل العلبة. هو الوقح راندال يحاول الاعتذار عما فعله امس. كيف يجرؤ على فعل ذلك؟ ايعتقد ان ارسال هدية ثمينة يكفي لمحو آثار تلك الحادثة المهينة؟ لا شيء في العالم يمكن ان يخفف من كره لورا لهذا الشخص، انه كره شديد لدرجة يجعلها تقرز لمجرد التفكير به.

للحظة، راودتها فكرة رمي هذه القفازات. لكنها عدلت عن ذلك بعدما تفحصتها جيداً. انها لم ترتد مثلها في حياتها. وقررت ان تحتفظ بها لأن اتلافها لن يفيدها بشيء. اختارت من العلبة زوجاً يناسب ثوبها وخرجت.

وصلت الى الحديقة واخذت تتنشق الهواء المنعش بنهم. جلست تتأمل اشعة الشمس تنعكس على صفحة مياه البحيرة الصغيرة وتتناثر تيجاناً مذهبة صغيرة فوق رؤوس طيور البط المتنافسة على قطع الخبز التي يرميها الاولاد لها.

وفيما هي غارقة في احلامها سمعت ضحكة خفيفة وراءها. التفتت لتجد الشخص الذي تمنت الا تراه ابداً..

راندال.

«اراك ترتدين قفازين جميلين. ذوقك جميل فأنا اعجبت بالزوج نفسه».

امتقع وجه لورا ولم تدر ما عليها فعله. خلعت القفازين ورمتهما بغضب في البحيرة.

انفجر راندال ضاحكاً لحركتها الصبيانية الانفعالية:

«الغضب يزيدك جمالا وبراءة».

ادارت لورا ظهرها ومشت مسرعة نحو المخرج وهي تتساءل كيف حصل على اسمها وعنوانها. لحق بها فتوقفت ورمقته بنظرة حادة مليئة بالحقد. كرهت هذا الوجه الهازىء، هذا الجسم الرشيق ذا العضلات البارزة... لا شك ان الكثيرات يعتبرنه وسيماً، لكنها لم ترتح لهذه الوسامة ابداً. نظراته المتغطرسة والمتهكمة جعلتها ترغب في الفرار. لماذا يطاردها وهي طفلة بالنسبة اليه؟ ماذا تهمه فتاة بسيطة مثلها وهو يستطيع بالطبع الحصول على اجمل النساء؟

«اعليّ ان انادي حارس الحديقة لتكف عن ملاحقتي؟».

«ارجو الا يكون وجودي يزعجك؟».

«كيف حصلت على اسمي وعنواني؟».

«الامر سهل للغاية. صديقتك صرحت انها موظفة في الخدمات الاجتماعية. وصلت اليها ومنها اليك».

«تعني انك لحقت بها الى منزلي».

«كلا، ذهبت الى شقتها وطلبت منها العنوان. رفضت اعطائي اياه. لكنها عادت واتصلت بي في مكتبي بعدما غيّرت

رأيها لسبب اجهله. في اي حال لا يهمني السبب ما دمت قد وصلت الى النتيجة».

تذكرت لورا عندئذ المكالمة الهاتفية التي اجرتها بات في منزلها. لكنها لم تجد سبباً يدفع بات، لاعطاء راندال العنوان.

«ارجو الآن ان تدعني اعود الى البيت وحدي».

لم يذعن لطلبها بل ظلّ يلاحقها حتى ارغمها على التوقف والتحدث اليه من جديد.

«ماذا تريد مني؟ لا تجبرني على ان اكون فظة وقاسية. دعني وشأني بهدوء».

«الا تريدين سماع اعتذاري عما حدث البارحة؟».

نظرت في عينيه فاذا بدقات قلبها تسرع. مرة اخرى اجتاحتها تلك الاحاسيس الغريبة الغامضة التي غمرتها في الليلة السابقة. فابتسم راندال قائلاً:

«عليك ان تتسامحي فيما بدر منا في الامس، وخصوصاً من ابن شقيقتي رودي، فقد كنا مأخوذين بنشوة الحفلة الصاخبة التي اقامتها رابطة الطلاب في الجامعة».

«وانت كنت طبعاً الوحيد المحافظ على توازنه بينهم والمخول قيادة السيارة».

«لا تهزأي مني ارجوك. اجبرت على مرافقتهم لئلا يصيب رودي اي اذى واتحمل كل الملامة. - وأضاف- لا بد انك حانقة عليّ لانني طبعت تلك القبلة على خدك».

كادت لورا تصرخ في وجهه لكنها ضبطت نفسها واحتفظت بالكلمات في نفسها: يا له من رجل وقح يثير في نفسي

الاشمئزاز! لماذا ينظر اليّ هكذا؟ احسّ وكأني اسيرة عينيه كأني طريدة تحاول الافلات عبثاً من مصيدته. لماذا تخذلني قوة الارادة عندما أواجهه؟ بعد جهد جهيد تمكنت من القول بنبرة شبه هادئة:

«اظنك كنت تنوي الاعتذار، لكني لم اسمع شيئاً شبيهاً بالاعتذار».

«الحق يقال اني لا اشعر بأسف لتلك القبلة، بل على العكس انا اتحرّق لاعيد الكرة».

ثارت ثائرة الفتاة وانفجرت:

«لن تتاح لك هذه الفرصة في حياتك».

قالت ذلك وهرولت مبتعدة، لكن راندال ابى الاّ ان يوقفها من جديد. غريب امرُ هذا الرجل المصرّ الذي لا يخسر المعارك بسهولة.

«كم عمرك؟ بحق السماء اجيبي فأنا اعترف بفشلي في تقديره».

اجابت لورا مسرورة لفشله:

«سأبلغ العشرين قريباً».

«لا اصدق ذلك، لا تبدين فوق السابعة عشرة».

وقبل ان تحاول الاجابة ضمها بقوة الى صدره وطبع قبلة ناعمة على خدها.

«انت رائعة الجمال. بشرتك ناعمة كالحرير. شعرك نسيج من ذهب وفضة. في عينيك الوان الربيع».

كادت لورا تصاب بالاغماء. لا بد ان هذا الرجل يملك

سحراً خاصاً يجعلها تذوب بين يديه ويمنعها من صده. فلم تتمكن الا من تمتمة:

«اكرهك».

حدّق فيها وفي عينيه بريق الانتصار وعلى شفتيه تلك الابتسامة الهازئة ابداً. ثم عاتبها قائلا:

«لا يصحّ ان تقولي هذا الكلام لمعجب مسكين بجمالك الطاغي».

«لا اريد اعجابك ايها الـ . . .».

«بالطبع لا تريدين وهذا ما يجعلني متشوقاً اكثر في ملاحقتك. فأنا لا احب الفتاة السهلة التي تستسلم للغزل بسهولة».

«لماذا لا تدعني اذهب بسلام فأنت تضيّع وقتك معي؟».

«عنادك يدل على ان هناك رجلا آخر في حياتك، هذه المرّة الاولى في حياتي التي اواجه فيها صيداً بهذا العنف».

«ومن انت حتى اطلعك على اسرار حياتي».

«فهمت. بالطبع هناك رجل آخر، مع ذلك ما رأيك بتناول العشاء معي الليلة؟ اعرف مطعماً هادئاً يعجبك».

«هذا امر مستحيل، انا لا اخرج مع اشخاص لا احترمهم».

«اذن اتفقنا على الغداء».

«لا تعذّب نفسك ايها السيّد ولا تركض وراء الاوهام».

«الا تقدمين لي على الاقل اعذاراً مقبولة؟».

اجابت بلهجة قاسية:

«عذري هو اني لا احب مرافقتك او التحدث اليك».

ضحك طويلا وقال:

«حسناً. سأجد وسيلة اخرى للتقرّب منك».

شعرت بالخوف يسري في عروقها بسبب اصراره على مطاردتها.

«ماذا تريد مني؟».

«لا تتغابي. انت ذكية وتعلمين ماذا اريد».

هو على حق فلورا تعلم ماذا يريد. لكنها لا تعلم انه قادر على طرق الموضوع بهذه الوقاحة. الا يملك هذا الرجل شيئاً من الاحترام لمشاعر فتاة بريئة.

كان مستحيلا عليها تقبّل مثل هذا الكلام الجارح في صراحته.

فصرخت في وجهه:

«لا بدّ انك مجنون! لا احد يتفوه بهذه الكلمات الا اذا كان معتوهاً!».

«وانت سبب جنوني. يجب ان تعلمي جيداً انني لم افشل يوماً في الحصول على مبتغاي».

«ستفشل هذه المرة!».

«حسناً يا آنسة لورا هالام، قبلت التحدي والآتي اعظم».

٣ - الصدفة القاتلة

في اليوم التالي، عندما جاءت بات لتأخذ توم، بادرتها لورا بالسؤال الذي لم يبرح ذهنها منذ البارحة.

«لماذا اعطيته عنواني؟».

«قال انه يريد الاعتذار فلم اجد ضيراً في ذلك».

«وهل انت ساذجة الى هذه الدرجة؟».

في هذه اللحظة نزل توم فغيرت لورا الموضوع. ثم اخذت تنظر الى بات وهي تتحدث الى الطبيب الشاب. لا شك ان ما قالته والدتها صحيح. بات مغرمة بتوم حتى اذنيها، وهو لا يبادلها هذا الشعور على ما يبدو. لكن توم ليس انفعالياً ولا يظهر

مشاعره تجاه احد، فهل من المعقول ان يكون مغرماً ببات دون ان يظهر ذلك؟ اذا صح تساؤلها تكون آمالها قد ذهبت ادراج الرياح. العلاقة بين لورا وتوم غامضة تتأرجح بين الحب والصداقة والأخوّة. حبذا لو كان بامكانها الغوص في نفسه لتعرف الحقيقة.

تلاقت نظراتها فأضاءت وجهه تلك الابتسامة الرقيقة التي يحتفظ بها لها وحدها. اطمأن قلبها وغشا كيانها احساس عارم بالسعادة والأمان.

«لماذا تبدين قلقة هكذا يا عزيزتي لورا؟ لا احب العبوس على وجهك لأنه يفسد نعومة بشرتك الرائعة».

«كيف وجدت امي اليوم؟».

«امك انسانة رقيقة وحساسة، تحتاج الى عناية دائمة».

«انا اقوم بهذه المهمة واعتبر اني اؤدي واجبي تجاهها».

«تقومين بالمهمة خير قيام. انا لا انتقدك بل الفت نظرك الى اننا يجب ان نظل متيقظين لئلا يصيبها اي مكروه».

«انت على حق يا توم. فاليوم مثلاً تسللت من غرفتها واخذت تعتني بالزهور. لحسن الحظ اكتشفت ذلك بسرعة واعدتها الى سريرها».

«حذرتها مراراً من ان قلبها لا يتحمل اي اجهاد. الخيط الرفيع الذي يربطها بالحياة سينقطع عند اول هزة. حالتها هي مع الأسف من اصعب الحالات التي واجهها الطب».

تجهم وجه لورا من القلق فحاول توم طمأنتها:

«لا تقلقي سنبقيها على قيد الحياة رغم انفها».

بعد ذهاب توم وبات صعدت لورا الى غرفة امها لتجدها تأكل قطعة من الحلوى مخالفة الحمية المفروضة عليها.

«امي ماذا تفعلين؟».

«قطعة واحدة لن تؤذيني. توم سمح لي بذلك لا بل هو احضر علبة الحلوى».

ضحكت لورا وقالت:

«يا لك من امرأة مشاغبة! اكنت تفعلين ذلك ايام المدرسة؟».

«لا. كنت دائماً التلميذة المثالية مثلك يا حبيبتي».

في المساء وصل السيد هالام الى البيت فرحاً منشرح الصدر وكأنه فاز بجائزة اليانصيب التي طالما حلم بها.

«زوجتي العزيزة، تلقينا دعوة مهمة!».

«دعوة الى ماذا؟ ليس من عادتنا تلقي الدعوات».

«الى حفل يقيمه السيد مرسييه مساء غد في منزله على شرف الموظفين الكبار».

«اعتبروك اذن من الموظفين الكبار».

«بالطبع والدعوة موجهة الى العائلة كلها».

قالت الزوجة بكآبة:

«حالتي الصحية ستمنعني مع الأسف من الذهاب الى منزل آل مرسييه».

«ولم لا؟ استشيري توم فلربما سمح لك. واردف موجهاً كلامه الى ابنته. لورا، عليك شراء ثوب جديد للمناسبة. مرسييه يملك قصراً اسطورياً لطالما تمنيت ان اراه. لم اكن اتوقع

تلقي مثل هذه الدعوة في حياتي! لا تتصورا مدى سعادتي وغروري».

ابتسمت السيدة هالام وعلا وجهها مسحة من الحزن:

«اذا لم اتمكن من مرافقتكما فستأتي السيدة نايت للاعتناء بي، ثم انا لا اهتم كثيراً لهذه الحفلات».

«ستأتين يا زوجتي الحبيبة وسترتدين ثوباً جديداً كذلك».

«لا حاجة لشراء ثوب فأنا املك فستاناً اخضر ارتديته في الحفل الراقص الذي حضرناه منذ بضع سنوات. اتذكر؟».

«حتماً اذكر. هو ثوب جميل يناسبك تماماً يا عزيزتي».

لم يسمح توم للسيدة هالام بالذهاب الى الحفل بعد استشارته هاتفياً. وعلل رأيه بأن الجو الصاخب لا يناسب قلبها الضعيف. حتى الاجواء المرحة كثيراً لا يمكنها تحملها.

اعتادت والدة لورا على خيبات الأمل وعلى العزلة. في اي حال هي لم تكن تميل الى الاختلاط بالناس كزوجها. ستبقى في غرفتها برفقة ادوات الحياكة والذكريات.

ذهبت لورا في اليوم التالي لشراء ثوب جديد. اختارت فستاناً اخضر، ضيقاً عند الخصر يبرز مفاتنها ويزيدها نعومة.

وصلت السيدة نايت في الوقت المحدد. قبل جيمس هالام زوجته وفي قلبه غصة لأنها لن تتمكن من حضور الحفل الرائع.

نظرت السيدة هالام الى ابنتها وقالت:

«تبدين ساحرة يا حبيبتي. لا عجب اذا تدفق العرسان علينا بعد هذا الحفل».

«شكراً على المديح يا اماه».

اتجه جيمس هالام وابنته بالسيارة الى منطقة مايفير حيث منازل الاثرياء الكبار. بعد قليل وصلا الى قصر آل مرسييه. بدا البناء مختلفاً عن المنازل الاخرى باسلوب تشييده الفرنسي. نظرت لورا الى البناء الفخم المشيد بأجود انواع الحجارة والمحاط بالحدائق الواسعة. لكنها لم تكن تحسد هؤلاء الاثرياء لانها لا تؤمن بالمادة مصدراً للسعادة.

قرعا الجرس وانتظرا. فتح الباب رئيس الخدم بوجه جاد وهدوء ارستقراطي.

«نعم؟».

ناوله جيمس هالام باعتزاز بطاقة الدعوة فعاينها وسمح لهما بالدخول. سارا في رواق طويل وفخم. اخذ رئيس الخدم معطفيهما وقادهما الى غرفة كبيرة مفروشة بأغلى انواع الاثاث ومليئة بالتحف النادرة. كانت الغرفة مليئة بالمدعوين يتناولون الشراب والمأكولات المختلفة ويتبادلون الأحاديث عن الأوضاع السياسية والاقتصادية... اخذ بعضهم يحدق بجيمس هالام بتعجب، فوجوده بين موظفي الشركة الكبار لم يكن مألوفاً. انه موظف عادي لا علاقة له بمجلس الادارة او بالمراكز التقريرية، شعرت لورا بعدم الارتياح لوجودها بين كل هؤلاء الناس المنتمين الى مجتمع مخملي لا تؤمن بمبادئه. اخذت تنظر حولها وهي تحاول التعرف الى مضيفها السيد مرسييه. كانت تنتظر رؤية رجل رزين، تليق به مهمة قيادة امبراطورية ضخمة.

فجأة لمحت وجهاً مألوفاً، فكادت تصرخ لشدة دهشتها. تقدم الشخص منها مبتسماً. بدأت لورا بالارتجاف. يا لها من

صدفة مذهلة! هل من الممكن ان يكون زميل والدها في العمل؟ اذا صح ذلك يصبح تهربها من مطاردته امراً صعباً.

قال جيمس هالام بشيء من الارتباك:

«مساء الخير سيد مرسييه، اشكرك على هذه الدعوة اللطيفة».

لم تصدق لورا اذنيها. السيد مرسييه هو نفسه الرجل الذي قبلها تلك الليلة عندما كانت برفقة بات والذي لاحقها في الحديقة محاولاً كسب ودها.

«لورا، اعرفك بالسيد مرسييه مالك الشركة ومديرها العام».

امسك راندال بيدها وطبع عليها قبلة ناعمة ثم قال:

«ابنتك فاتنة يا سيد هالام ووجودها يضيء هذه السهرة».

سحبت لورا يدها بسرعة والذهول يسيطر عليها. راندال رئيس ابيها! هذه الحقيقة ستقلب جميع المقاييس وستضعها في موقف حرج للغاية. تخلص راندال من وجود هالام بذكاء:

«والدي متشوق لمقابلتك، فهو لم يرك منذ مدة طويلة. لماذا لا تذهب اليه بينما احضر شراباً للآنسة لورا... ارجو ان تسري بصحبتي مع اني غير محبوب كثيراً».

ارادت لورا الاعتراض على ابتعاد ابيها، لكن صوتها كان مخنوقاً فلم تنبس ببنت شفة.

بعدما اصبحا وحيدين قال راندال وفي صوته رنة الانتصار:

«قلت لك اني احصل دائماً على ما اريد فلم تصدقي».

«لماذا لم تقل لي انك رئيس والدي؟ كنت تعلم ذلك عندما

التقينا في الحديقة، لا بد ان بات اخبرتك بالأمر».

«لو صرحت لك بالحقيقة لما كنت حضرت الليلة، اليس كذلك؟ على الرجل المعجب بفتاة استعمال اساليب المناورة والخداع للوصول الى الهدف».

ضحك راندال وهو يقرأ على وجهها الانفعالات البادية بوضوح.

«وجهك معبر جداً يا حلوتي. . . بامكاني معرفة ما تفكرين به بسهولة فائقة. - وأضاف وهو يشير الى المائدة العامرة بمختلف انواع المآكل- ماذا احضر لك؟».

«لا شيء».

لم يصر راندال بل امسك بيدها وقادها الى خارج الغرفة تحت انظار الفضوليين. سمعت لورا بعض التعليقات عن جمالها ولكن جملة واحدة علقت في ذهنها: يبدو ان راندال ضم فراشة جديدة الى مجموعته! هو معروف اذاً بمغامراته العاطفية الكثيرة وهي معتبرة الآن محطة جديدة في الاعيبه. عندما وصلا الى الرواق تمكنت لورا من تحرير يدها وقالت:

«لماذا احضرتني الى هنا؟ اريد العودة فوراً».

«في رأسي تجول الف فكرة وفكرة. . .».

«ايها الوقح الدنيء كيف تسمح لنفسك بتوجيه هذا الكلام لي؟».

«لا تخافي! انما اريد ان اعرفك بأمي التي حدثتها عنك كثيراً».

«ولماذا حدثت والدتك عني؟».

«لأنها مثلي تحب جمع التحف النادرة».

«واين هي والدتك؟ لماذا ليست مع المدعوين؟».

«يا لك من فتاة لجوجة! لن يصيبك مكروه معي. امي مصابة بالشلل ولذلك آخذك الى غرفتها».

امسك بيدها وجرها الى السلم الداخلي بدون ان يتيح لها المجال للتراجع. فتح باب غرفة نوم وادخلها. كانت السيدة مرسييه ممددة في سرير واسع. امرأة جميلة، ذات نظرة ثاقبة اقسى من نظرات ابنها راندال. قالت المرأة بصوت دافىء:

«اقتربي مني يا عزيزتي لأرى سبب شغف ابني بالحديث عنك».

اطاعت لورا الأمر واقتربت من السرير. تفحصت وجه المرأة الممددة جيداً فرأت علامات قساوة الحياة على الوجه المحتفظ بشيء من جاذبيته وسحره.

«ابني يحسن الاختيار دائماً. صبية ساحرة يا راندال. كم عمرك يا عزيزتي؟».

«عشرون عاماً».

ابتسمت السيدة مرسييه لخجل لورا وارتباكها.

«والدك يعمل في شركتنا أليس كذلك؟».

«نعم».

«ووالدتك أليست معكما هنا؟».

«أمي مصابة بمرض في قلبها ولا تغادر البيت الا لماماً».

«أنا أدرك معنى ذلك لأني سجينة هذا السرير منذ خمس سنوات فقد تعرضت لحادث سيارة سبب لي شللا وحوّلني من

امرأة ديناميكية نشيطة، الى مخلوق يعيش على الهامش».

تدخل راندال مشجعاً:

«أنت لا تعيشين على الهامش يا امي بل تسيّرين أمور العائلة من سريرك».

«لكني لم أتمكن يوماً من تسييرك والسيطرة عليك يا راندال. - وأضافت السيدة مرسييه- أرجو الا تكون أكاذيبك تنطلي على هذه الطفلة البريئة».

«لا ضرورة لتحذيرها مني يا امي فهي لا تصدق كلمة واحدة مما أقول. شجعيها على التقرّب مني ولا تزيدي من نفورها».

وجهت والدة راندال الحديث الى لورا:

«لا تكوني مثل الأخريات مستسلمة لهذا الرجل، فهذا الأمر قد افسد اخلاقه وجعله مغروراً متغطرساً».

«تنضمين الى العدو يا امي! لورا تعتبرني مغروراً متغطرساً وهي ليست بحاجة الى تشجيع».

«يبدو ان هذه الفتاة يا راندال قوية الشخصية فأنت تحتاج لمن يذكرك بأنك لست خارقاً. النساء الضعيفات أفسدنك بركضهن وراء مالك. افهميه يا لورا ان الدنيا ليست مالا وجاهاً».

قال راندال ضاحكاً:

«من الأفضل ان أبعد لورا عنك لئلا تشوشي أفكارها أكثر».

«كل ما فعلت هو انني ابديت رأيي بصراحة».

«رأيك هذا زوّدها بأسلحة جديدة في معركتها معي. وهي تملك اسلحة قاتلة كنظراتها مثلا...».

نظرت السيدة مرسييه الى لورا التي تستمع الى الحديث بشيء من الذهول والدهشة. فقالت المرأة:

«لقد اخفنا لورا بكلامنا. عد بها الى الحفل لتتمتع بوجودها في هذا البيت بدل ان تمضي وقتها مع عجوز مثلي».

تمكنت الفتاة من القول بكل تهذيب:

«على العكس أنا اعتبر وجودي معك مكسباً. الى اللقاء يا سيدتي».

بعد ان خرجا من الغرفة شعرت لورا بالارتياح لأنها تخلصت من حديث راندال وأمه وملاحظاتها الجارحة.

«ما رأيك بأمي؟ لا تخفيه، قولي بصراحة».

«سيدة لطيفة وذكية».

«ماكرة ومراوغة كالثعلب، لكنك طفلة فلن تكتشفي ذلك».

«لا تنعتني بهذه الصفة بعد الآن».

«حسناً يا حلوتي، لا تغضبي. أنت امرأة ناضجة وواعية».

نزلا السلم لكنه اتجه بها الى غرفة منعزلة وأقفل الباب. تراجعت لورا خائفة وقلبها يقرع كالطبل. رأت في عينيه نوايا مرعبة.

«لا تهدري الوقت، تعالي اليّ فلا فائدة من المقاومة».

«لن ادعك تمسني، أفضل الموت على ذلك».

«أتريدين ان استعمل معك العنف؟ هيّا اقتربي بدون

مجادلة».

نظرت حولها دون ان ترى مجالا للفرار. الباب الوحيد مقفل وراندال يحرسه. تقدم منها بخطوات سريعة وعندما امتدت يداه الى كتفيها سرت في جسمها رعشة ورمقته بنظرة استرحام.

«أرجوك، كلا...».

«لست وحشاً عنيفاً فلا سبب لتصرفاتك هذه!».

«دعني اذهب. والدي سيقلق عليّ».

«أكون مجنوناً إن فعلت. ثم ان والدك لن يمانع اذا اقمت علاقة مع رئيسه».

حاولت لورا الافلات من قبضته دون جدوى فأغمضت عينيها واستسلمت لعناقه. خانت نفسها مرة أخرى وسمحت له بأن يضمها الى صدره كما سمحت لجسمها بالاستجابة لعناقه.

قال راندال والهوى الجامح يكاد يخنقه:

«انت تسلبينني عقلي!».

فوجئت لورا بهذا الكلام. أيعني انه وقع في حبائل حبها؟ أيمكن لهذا الرجل اللاهي المتنقل من علاقة الى علاقة ان يغرم بها؟ شعرت بشيء من الثقة بالنفس والسيطرة على الرجل. لورا هالام ابنة الموظف البسيط تسلب المليونير راندال مرسيه عقله! انه لانتصار عظيم! لكنها في الوقت نفسه لا تريد استغلال هذا الانتصار او استثماره لأنها ليست من هذا النوع من الفتيات الرخيصات.

«تبدين راضية عن نفسك وكأنك تظنين اني مغرم بك! أنا لا

أقع في غرام احد يا حلوتي. كل ما يهمني هو جمالك ونعومتك».

«لم ار في حياتي وقاحة تعادل وقاحتك!».

حاولت لورا الافلات منه فلم يمنعها لكنه لم يسمح لها بمغادرة الغرفة فتوسلت اليه قائلة:

«أرجوك دعني أخرج».

«ليس الآن. فأنا لم أنجز ما في ذهني بعد».

عندها صرخت في وجهه غير آبهة بالعواقب:

«دعني أذهب والا بدأت بالصراخ وسببت لك فضيحة أنت بغنى عنها. تصوّر اذا علم الجميع بأن راندال مرسييه يزعج فتاة مسكينة مثلي...».

«اهدأي فكل ما أريده منك هو دعوتك الى العشاء غداً، فما رأيك؟».

«سبق ان أجبتك على هذا السؤال، لا وألف لا».

«ألم تفهمي بعد انني انال دائماً ما أريد وانني لن ادع حاجزاً يحول بيني وبينك؟ استسلمي لأن مقاومتك عديمة النفع».

«عليك ان تدرك هذا الأمر تماماً يا سيد راندال. أنا لا أنوي ان أكون حبيبة احد!».

افتر ثغره عن ابتسامة هازئة وقال:

«ذلك يدعو الى الأسف لأن الدور يناسبك تماماً».

«ماذا تعتقد أن يكون رد فعل والدي ان اخبرته بعروضك الحقيرة؟».

«ولكنك لن تخبريه بالأمر بالطبع لأنك فتاة ذكية تعرفين مصلحته».

رمقته بنظرة ملؤها الحقد والكراهية:

«بالطبع لا لأنك ستطرده عندها من العمل، ورجل تجاوز الخمسين لن يجد وظيفة أخرى بسهولة. راندال مرسييه، انك تمارس عليّ احقر أنواع الابتزاز، لكني لن أرضخ!».

قهقه الرجل وعلّق:

«جمالك يزيد روعة عندما تغضبين. عيناك تلمعان كعينيّ هرة جميلة اشتراها لي والدي عندما كنت صغيراً».

«أرجو ان تكون خدشتك».

«أنا لا اتذمّر من الخدوش اذا كان مصدرها مخلوقاً فاتناً».

التقت عيناه عينيها، فأزاحت نظراتها لأنها خاسرة حتماً في هذه المبارزة. في عينيه شيء آسر يدمّر فيها أعلى مقاومة ويزيل اي رغبة في صده.

مد يده ولامس عنقها ثم ضمها اليه بقوة.

«سأدعك تفلتين بشرط ان تسمحي لي بطبع قبلة طويلة على خدك المخملي. اعتقد ان عرضي عادل فلن ترفضيه».

«انسان لا يطاق!».

لم تجد لورا مفراً من الاذعان لرغبته التي حملتها على اجنحة ذهبية وطارت بها الى عالم غامض، شاعري وساحر. لم تدر لورا كيف عادت الى عالم الواقع ووجدت صعوبة في استعادة كيانها المهزوز.

«انتهى الدرس الأول واجتزته بنجاح».

احست برغبة في قتله، لكن جلّ ما فعلته هو انسحابها من الغرفة لتنضم الى بقية المدعوين. شعرت بالارتياح لوجود

والدها بقربها وهي تخشى ان يعود راندال اليها من جديد.

اضطرت ان تنتظر انتهاء السهرة للعودة الى البيت لأن والدها كان مسروراً جداً لوجوده في منزل يحادث كبار الموظفين ويشارك في وضع المخططات في سبيل تقدم الشركة وازدهارها. كانت السهرة فرصة نادرة لن تتكرر ليدعم وضعه في العمل ويلفت الانظار الى ذكائه وخبرته. اخذت لورا تعد الثواني وتستحث عقرب الساعة على الاسراع لتنتهي السهرة وتعود الى سلام بيتها ودفئه. واخيراً عندما حان وقت الفرج وقرروا الانسحاب اقترب منهما راندال مودعاً:

«ارجو ان تكونا امضيتما وقتاً ممتعاً عندنا».

سارع جيمس هالام الى التأكيد:

«بالطبع يا سيد مرسييه انه لشرف عظيم لنا وجودنا في منزلكم الكريم».

«أعتقد ان الآنسة لورا لا تشاطرك الشعور نفسه يا سيد هالام، فأنا لاحظت انها كانت مستعجلة طوال الوقت للرحيل».

قالت لورا بفتور:

«على العكس كانت سهرة جميلة ومسلية».

«أنا احب التعرف اكثر الى موظفينا وعائلاتهم».

لم يدع هالام هذه الفرصة الذهبية تفلت من يده فلربما كان في الأمر مشروع ترقية او زيادة راتب.

«اسمح لي اولا بأن ادعوك الى العشاء في منزلي المتواضع يا سيد مرسييه، أرجو ان تقبل الدعوة على الرغم من مشاغلك

الكثيرة».

«انه لشرف كبير لي ان آتي الى منزلكم. سأراجع مفكرتي لأرى متى أكون حراً في ارتباطاتي الكثيرة»، - اخرج راندال من جيبه وقلب بعض الصفحات- يبدو ان مساء غد هو فرصتنا الوحيدة».

«خير البر عاجله يا سيد مرسييه. كن على ثقة بأننا نتشوق لرؤيتك عندنا، أليس كذلك يا بنيتي؟».

أجابت لورا وهي لا تكاد تصدق ان هناك انساناً على وجه الأرض يملك هذا القدر من الخبث:

«بالطبع يا ابي».

انحنى راندال احتراماً وحياهما ثم انسحب ليودع بقية المدعوين. في الطريق الى البيت اخذت لورا تفكر في ورطتها. كيف تتخلص من راندال وهو يملك ورقة قوية في يده؟ كانت تعلم بأنه سيذهب الى حد اقالة والدها من عمله اذا لم تستجب له. انه داهية، محنك، وصولي يعرف ما يريد وكيف ينال ما يريد.

لكن ما يزعج لورا اكثر هو الشعور الذي بدأ ينمو في اعماق نفسها تجاه هذا الرجل: مزيج من الحقد والاعجاب. صراع عنيف يمزق كيانها، يتقاذفها الكره والحب، الصد والاستسلام، الاحجام والاقدام... ومن خلال هذه المعمعة يبرز حبها لتوم ليزيد في شقائها، هذا الحب الطاهر الروحاني الذي تؤمن به بدأ يتزعزع.

بسبب كل هذا لم يغمض بها جفن تلك الليلة الا عندما

بدأت خيوط الفجر تتسلل الى غرفتها.

٤ - الاصرار

أفاقت لورا في اليوم التالي لتجد امها تطالع باهتمام كتاب فن الطهي. وهذا طبيعي فلا يحظى كل موظفي الشركة بوجود السيد مرسييه بينهم.

«صباح الخير يا امي، لا بد ان ابي اخبرك بأمر حضور راندال مرسييه الى العشاء الليلة».

«اكاد لا اصدق. مرسييه الثري، المغرور يأتي الى بيتنا! والدك واثق من انه يريد ترقيته والا لما كان هناك سبب لهذه الزيارة المفاجئة».

لم تجرؤ لورا على البوح بأن الزيارة لا تتعلق بالعمل بل بها

هي، لأن امها لا تتحمل الانفعالات. عليها دفن السر في قلبها والاعتماد على نفسها للخروج من الورطة.

«ارجو الا تكون الوجبة التي اخترتها معقدة يا امي لأني لست تلك الطاهية الماهرة».

«لا تقللي من شأن مهارتك والا اضطررت للطهي بنفسي».

«الموضوع غير قابل للبحث. لست مستعدة لأن أخالف اوامر الطبيب واسمح لك باجهاد نفسك».

«حسناً يا لورا. ما رأيك لو قمت بمراقبة عملك فقط؟ لا اعتقد ان مجرد المراقبة ستتعبني».

فكرت لورا بالأمر وقالت:

«قد لا يسمح توم بذلك فهو كما تعلمين دقيق للغاية».

«لا ضرورة لأن يعلم بالأمر».

ضحكت الابنة وهزت برأسها موافقة.

كادت السيدة هالام تطير من الفرحة. اخيراً ستقوم بنشاط، بعمل، ستشارك بحركة.

«لا تستعجلي الامور يا اماه، اذا اردت مراقبة عملي في المطبخ فعليك البقاء في السرير الآن».

«سمعاً وطاعة. لن اتحرك من هنا الا بعد ان تسمحي بذلك».

نزلت لورا الى غرفة الجلوس تنتظر توم. وصل الشاب بعد خمس دقائق فاستقبلته بابتسامة ضمنتها كلَ ما عندها من عاطفة وحرارة. وجهه الشاحب يدل على مدى الجهد الذي يبذله في عمله. اخذت تقارنه براندال. توم ابى الانجراف وراء المادة

وكرس حياته لخدمة الآخرين. رفض نصائح الجميع بالعمل في مستشفى خاص حيث المال الوفير وانضم الى الجهاز الحكومي حيث الراتب بسيط يكاد لا يفي بحاجاته العادية. سعادته تكمن في اسعاد البؤساء ومساعدة المحرومين. اما راندال فورث عن ابيه دون عناء امبراطورية ضخمة لم يجاهد ويكابد ليستلم دفتها. مجرد تقاعد ابيه كان يعني صعوده الى مركز القيادة. صحيح انه يسير الامور بنجاح لكنه انسان مادي، يحب المال، لا يعبأ بمشاكل الآخرين، لا يهتم الا بمطاردة الفتيات الجميلات...

الفارق بين الاثنين شاسع الى درجة يجعلها تحتقر راندال وتحترم توم. تأكدت ان ما حدث لها مع الأول في الحفل في الليلة السابقة وهم، اما حبها لتوم فحقيقة راسخة.

بادرها توم بصوت تعب:

«كيف حال الوالدة اليوم؟».

«مسرورة جداً لما ينتظرها من اثارة».

«وما هو هذا الشيء المثير الداعي الى السرور؟».

«رئيس والدي في العمل سيتناول العشاء عندنا الليلة».

«اهذا كل شيء؟ لا ارى اثارة في الأمر».

«بالنسبة الى والدي الأمر مهم للغاية فالسيد مرسييه يعامل موظفيه بهذه الطريقة عادة. ووالدي يعتقد انه سيقوم بترقيته».

قالت لورا ذلك وهي تعلم انها تكذب على توم وربما على نفسها. جبنها منعها من التصريح بحبها للطبيب ويمنعها من البوح له بما تتعرض له من ملاحقة راندال ومضايقته. لكنها لا

تعلم ان هذا الجبن سيكلفها غالياً يوماً من الأيام، وستندم حيث لا ينفع الندم. لم يهتم توم للموضوع بل شدد على ما يعنيه اذ قال:

«المهم الا تكون امك تعد العدة للطهي بنفسها؟ انتم تعلمون اني لا اسمح بذلك اطلاقاً مع اني آسف لعدم تناول طعامها فهي حقاً طاهية ماهرة».

«افهمتها اوامرك يا حضرة الطبيب العزيز فاقتنعت بعد ان قطعت وعداً بالسماح لها بالجلوس في المطبخ للمراقبة».

«حسناً رغم اني اشك كثيراً ببقائها هادئة وهي موجودة في المطبخ!».

خطرت للورا فكرة مفاجئة اذا تحققت تكون كفيلة بتخفيف الاضطراب الذي يسببه وجود راندال لها.

«لماذا لا تأتي الى العشاء الليلة؟ تتذوق طعامي الشهي من جهة وتراقب امي من جهة اخرى».

فكر توم قليلاً ثم قال:

«لا بأس بالفكرة لكني لا ارى معنى لوجودي في جلسة بحث لشؤون العمل وشجونه».

«العشاء ليس لبحث امور العمل بل هو مجرد مجاملة بعد ان دعانا مرسييه الى حفل مساء امس في بيته. ارجوك يا توم ان تأتي لتخفف عني الملل».

اذعن توم لاصرار لورا وقال:

«كما تشائين يا عزيزتي، قبلت الدعوة. سأصعد الآن لاعاين والدتك. هل رآها الدكتور فرغوسون البارحة؟».

«كلا، فقد اضطر لالغاء الموعد بسبب حالة طارئة. وقال بأنه يعتمد عليك في هذه المهمة. شهادة كبيرة لك ان يثق بك فرغوسون».

«فرغوسون طبيب لامع في امراض القلب. يكفي انه لا يعارض مشاركتي في معالجة امك. فمن حقه ان يطلب امتناعي عن ذلك».

«هو يعلم بانك واحد من العائلة».

«حتى لو كنت من افراد العائلة، فله ان يشدد على الاصول الشكلية. لكن فرغوسون مترفع عن هذه الصغائر».

كالعادة صعد توم الى الغرفة بينما انصرفت لورا الى تحضير القهوة. بعد دقائق جلسا يحتسيان فنجانيهما في غرفة الجلوس. انها الفرصة الوحيدة المتاحة له ليرتاح في النهار. المهنة التي اختارها مرهقة وجاحدة في الوقت نفسه. كان بامكانه سلوك الطريق الأسهل كما فعل والده ويفعل الكثيرون من الاطباء، لكن الله من عليه بضمير حي وارادة واعية فرفض اغراءات المادة وزهد ببهارج الحياة ليؤدي دوره الفعال في بناء المجتمع.

ما ان انهى قهوته حتى انتصب واقفاً واستعد للذهاب.

«امكث قليلاً لترتاح يا توم».

«الراحة كما يعرفها الناس كلمة حذفتها من قاموسي. الراحة بالنسبة الي هي تخفيف آلام الآخرين».

اقتربت لورا منه لتصلح ربطة عنقه ولا شعورياً وضعت رأسها على صدره. ابعدها توم عنه رافضاً عناقها فشعرت بالخجل يغمرها. كيف يستطيع ان يصدها بهذا الشكل؟

«لورا لا تغضبي مني. انت تعلمين مكانتك في قلبي لكني لا اريد استعجال الأمور».

«كما تشاء يا حضرة الطبيب».

ابتسم توم وحاول تطييب خاطرها:

«المرضى يريدون طبيباً بكامل قواه العقلية لا رجلاً فقد رشده».

«انا اريدك فاقداً رشدك».

ضحك الشاب في حين امتزجت ابتسامة لورا بالدموع تترقرق من عنيها. ذهب توم الى عمله تاركاً لورا غارقة في الحزن والحيرة. اظهرت له مشاعرها لكنه رفض ذلك وبقي جامداً كالصخر. وانصرفت الى تحضير العشاء في المطبخ وهي لا تنفك تفكر بتوم حبها الوحيد.

وصل جيمس هالام الى المنزل مبكراً ليساهم في وضع الترتيبات لاستقبال الضيف العزيز. عندما ابلغته لورا بأنها دعت توم انفجر غاضباً.

«لماذا تقحمينه في كل امورنا؟».

«لا ارى ضرراً في ذلك يا ابي، وجود توم يسعدني ويخفف من ثقل ظل راندال مرسييه».

«لا اعرف لماذا تعتبرين مرسييه ثقيل الظل؟ شخص مهذب تنازل مرتين، عندما دعانا الى قصره وعندما قبل دعوتنا».

استغربت لورا تغير موقف ابيها تجاه راندال وقالت:

«الم اسمعك مراراً تنعته بالحقير مرسييه؟».

«يخطىء الانسان احياناً في حكمه على الآخرين. الآن وقد

تقربت من الرجل لم اعد اجده سيئاً.

ليت والد لورا يعلم اهداف هذا التقرب وهذه المعاملة الحسنة من قبل مخدومه. لكنه ربما وافق على هذه الاهداف وساعد على تحقيقها، فكل رجل يتمنى ان تكون ابنته محط اهتمام راندال. . .

انشغل السيد هالام بتحضير الطاولة وترتيب الصحون الجديدة التي اشتراها خصيصاً للمناسبة.

في تمام السابعة فتحت لورا الباب لأول ضيف على امل ان يكون توم.

«آه! أهلا! تفضل سيد مرسييه».

«اراك فوجئت بمجيئي فهل تتوقعين احداً غيري؟».

«نعم دعوت صديقاً ليشاركنا السهرة».

اضطرب راندال وبدت على وجهه امارات الغضب، لكنه سرعان ما استعاد سيطرته على نفسه وعادت الى عينيه نظرات السخرية والتفوق.

انحنى الشاب وقدم الى لورا باقة كبيرة من الزهور الزاهية.

«احضرت هذه الزهور لمضيفتي».

بهرت لورا وقالت:

«ستسر امي كثيراً بهذه الهدية».

«لم احضرها لامك بل لك. الزهور تقدم لزهور».

«شكراً على لطفك وكرمك. تفضل الى غرفة الجلوس».

تأخر الزوجان هالام قليلاً في النزول لانهما صرفا وقتاً طويلاً في اختيار ملابسهما. فأمام شخص بهذه الأهمية يجب توافر اكبر

قدر من الاناقة.

لم تكن لورا تحتمل وجودها وحيدة مع راندال. عيناه ترهقانها بنظرات قاسية، متفحصة، نهمة. اخذت تعبث بعقد اللؤلؤ الذي يحيط بعنقها لتتجنب النظر اليه، لكنها فشلت في ازاحة وقع وجوده المحرج وسيطرته القاسية. انها تحس نفسها معه كسجين بين يدي جلاد ينتظر تنفيذ امر الاعدام بين لحظة واخرى.

دق الجرس فوجدت لورا فرصة للتملص من راندال. هرعت لتفتح الباب لتوم. كان الشاب يرتدي ثياباً انيقة على غير عادة وتفوح منه رائحة عطر ثمين، يبدو انه نسي فقراءه هذه الليلة اكراماً لها.

«اهذا توم الذي اعرفه؟ يا للاناقة والوسامة!».

«شكراً على الاطراء مع اني نقطة في بحر جمالك الخلاّب».

عرفت لورا الشابين ببعضهما وانسحبت لتحضر العصير.

«انت تعمل في الحي الشرقي للمدينة اذاً يا سيد توم؟».

«تماماً».

«لا بد ان عملك مرهق».

«بعض الشيء».

كانت لهجة مرسييه جافة وخالية من اي نغمة كأنه شرطي يستجوب لصاً، اضاف:

«وهل اخترت هذه المنطقة طوعاً ام ان الادارة وضعتك هناك؟».

«اخترتها طوعاً، فالمنطقة فقيرة وبحاجة الى طبيب شاب له

القدرة على الاحتمال، والعمل الجاد. لذلك وجدت نفسي صالحاً للمهمة».

وصلت لورا حاملة اكواب العصير وتدخلت في الحديث:

«توم يعتبر الطب رسالة سامية لا مصدر ثراء».

«لا تصوريني بطلاً امام الرجل، انا اقوم بوظيفتي ليس اكثر».

لم تأبه لورا لتعليقه وتابعت:

«انه الطبيب الأكثر شعبية في شرقي لندن والكل يؤكدون ذلك، لقد اختبرت الأمر بنفسي».

أراد راندال أن يقول: واختبرت عناقي. لكنه أحجم عن ذلك حتى لا يفسد السهرة. فهم الآن سبب وجود لورا في ذلك الحي الفقير مع بات اذا ارادت ان تتعرف الى عمل توم. لا شك في ان شعورها نحو الطبيب مهم الى درجة تجعلها تخاطر بالدخول ليلاً الى الحي الشرقي. اراد توم اثبات تواضعه فقال:

«لا تصدقها يا سيد مرسييه فهذا الكلام سمعته لورا من مساعدتي بات باسيت، وبات منحازة الى جانبي بالطبع».

لم تكن لورا بحاجة الى اكثر من سماع اسم بات لتجتاحها الغيرة:

«لست بحاجة الى آراء بات لأتأكد من مهارتك في عملك يا توم».

نظر الطبيب الى راندال مبتسماً.

«سأصاب بالغرور اذا اخذت بكلام هذه الفتاة».

في هذه اللحظة دخل الغرفة جيمس هالام وزوجته.

بادر الرجل الى القول:

«عذراً على التأخير يا سيد مرسييه. اهلاً وسهلاً بك في بيتنا المتواضع».

لم ترض لورا عن البرود الذي اظهره والدها تجاه توم. اذ اكتفى لتحيته بايماءة من رأسه.

في المطبخ كان كل شيء جاهزاً بفضل مساعدة السيدة نايت.

اعلنت لورا:

«العشاء جاهز، تفضلوا الى غرفة الطعام».

جلس الجميع حول المائدة واستطاع راندال بدهائه ان يكون قرب لورا. انزعجت الفتاة من ذلك ولكنها سلمت بالأمر وجلست تشجعها ابتسامة توم المتفهمة. بدأ جيمس هالام حديثاً طويلاً ومملاً مدح فيه الشركة ومشاريعها وخص مجلس الادارة، وعلى رأسه مرسييه، بثناء خاص وكلمات طنانة. لم ترتح لورا لكلام ابيها المصطنع ولتزلفه لراندال، لماذا هذا الكذب والخوف من رئيس الشركة؟ اليس انساناً عادياً كالآخرين؟ حبذا لو كان جميع الرجال مثل توم، يتمتعون بشهامته واخلاقه، ويؤمنون بمبادئه.

في هذه الاثناء بدأت السيدة نايت باحضار الاطباق المتنوعة تباعاً: الدجاج، اللحم المشوي، القريدس، السلطة، واخيراً الفاكهة والقهوة.

خلال العشاء تمكن راندال ان يفلت من الأحاديث الدائرة ليهمس في اذن لورا:

«اتعرفين الدكتور نيكول؟».

«منذ ان ابصرت النور».

«هو بمثابة أخ اكبر اذن».

فهمت الى ماذا يلمح راندال فرفضت قبول مثل هذه الفكرة، بشكل جازم:

«لا، ليس اخاً».

«واذا لم يكن اخاً فهو حبيب. - اضاف وكأن علاقته بلورا قديمة- لماذا لم تقولي لي انك مغرمة؟».

ضرب راندال على الوتر الحساس ونجح مرة جديدة في زعزعة توازن لورا واثارة الاضطراب الشديد في نفسها. لماذا يتدخل في خصوصياتها؟ ايعتبر نفسه شخصاً حميماً الى هذه الدرجة؟ غريب امر هذا الرجل الذي دخل حياتها بالقوة وفرض نفسه رقيباً على قلبها.

اخذ قلب لورا يخفق بقوة حتى خيل اليها ان الآخرين يسمعون خفقاته. عندما تجرأت ورفعت عينيها الى راندال وجدته يتحدث الى امها.

مر الوقت ببطء قاتل ووجدت الفتاة صعوبة في الاشتراك بأحاديث والدها وتعليقات امها، لولا وجود توم لكانت انسحبت الى غرفتها من دون اي شك. صارت تعد الثواني حتى انتهى العشاء وانسحب الجميع الى غرفة الجلوس.

هناك افتتح راندال الكلام بقوله:

«اسمحوا لي بتهنئة الطاهي لما اتحفنا به من اطايب».

بدا جيمس هالام وكأنه ينتظر هذه الفرصة ليعزز مكانة

ابنته:

«ابنتي صبية كاملة يا سيد مرسييه. مثقفة، جميلة، طاهية ممتازة... تجتمع فيها كل صفات ربة المنزل الناجحة».

لم يكن ينقص لورا سوى هذه الكلمات ليطفح كيلها، فهبت من مقعدها وتوجهت الى المطبخ تساعد السيدة نايت في تنظيف الصحون علها تجد هناك ملاذاً يقيها عيني راندال ولسانه. لحق بها توم ليسألها عن سبب انزعاجها وان كانت قد بدأت تتكون لديه فكرة عما يدور في الكواليس.

«ما بك يا عزيزتي؟ اشعر انك لست على ما يرام».

«لا شيء البتة. هلا ساعدتني بتحضير المزيد من القهوة؟».

«بكل سرور».

فيما كانت لورا تحضر الفناجين وتوم يجلب السكر اصطدما ببعضهما وضحكا طويلاً.

«اتصدقين الآن انك تفقدينني رشدي؟».

تحولت ضحكتها الى وجوم وجدية. وتكوّن في نفسها امل جديد بأن توم سيصارحها اخيراً بما يختلج في قلبه.

«اتعني حقاً ما تقول؟».

سرعان ما تبخرت آمالها اذ اجاب:

«لا يجدر بي ان اقول كلاماً كهذا بعد الآن. انسي الموضوع».

لم يعد بوسع لورا ضبط نفسها فانفجرت والألم يعصر قلبها:

«كيف انساه وهو جزء من كياني، يرافقني في حياتي، انام فاحلم به، افيق لاجده قابعاً في ذهني، اراه في كل زاوية من هذا

البيت، في كل حركة اقوم بها . . . توم اتدرك مدى معاناتي؟».

لم يتمكن الطبيب الشاب من الاجابة اذ دخل عليهما فجأة راندال.

انسحب توم حاملاً طبق القهوة وتبعته السيدة نايت التي لم ترغب في أن تسمع اكثر مما سمعت.

لم تخف لورا من راندال هذه المرة بل ارادت ان تجابهه وتحطمه:

«لم اكن اعلم ان من عاداتك استراق السمع والتجسس على الآخرين. كل مرة اكتشف فيك نواقص جديدة».

«وبالنسبة الي يا اميرتي المبدأ واضح: «الغاية تبرر الوسيلة».

قال الرجل ذلك بكل هدوء وارتياح وكأن تصرفه امر طبيعي لا عيب فيه.

فهم الآن تماماً ما يعذب لورا وعرف كيف يستغل رفض توم لحبها. صار يملك ورقة جديدة في صراعه معها تضاف الى كونه مخدوم والدها ومصدر رزقه.

«ويبدو ان الدكتور نيكول لا يكترث كثيراً لقلبك اللاهب ولعينيك اللامعتين. بل بالاحرى يهتم بذلك اهتمام الأخ الأكبر لا غير. عليك ان تجدي رجلاً اخر يقدر جمالك وسحرك، وانا كما تعلمين جاهز لملء هذه المهمة الممتعة».

لم تسمع لورا في حياتها شخصاً يوجه اليها مثل هذا الكلام. لكن راندال المغرور واثق من نفسه ومتأكد من كونه في موقف قوة. لم تجد الفتاة سلاحاً للدفاع عن نفسها غير الكلام.

«لا حق لك بتوجيه مثل هذا الكلام لي ايها الحقير!».

«اغضبي، اغضبي. فهذا يزيدك حسناً وروعة. لكن اذكرك بأن فتاة مثلك لا يجب ان تطلق العنان للسانها وتنزلق الى درك الكلام الرخيص».

«احتفظ بنصائحك لنفسك لأنك بأمس الحاجة اليها».

بخفة فائقة وضع يده على كتفها وعانقها. لم تجد وسيلة للافلات من هذا الرجل الخبير بفنون المغازلة. أحست برأسها يدور وبأن العالم تقلص ليصبح ذراعي راندال. ودون وعي وضعت يديها حول خصره. واخيراً ارتسمت على شفتيه ابتسامة الانتصار.

لكنه غضب فجأة ودفعها الى الوراء.

«لا اريدك ان تفكري برجل آخر عندما تكونين بين ذراعي».

كان على حق لانها كانت تعانق راندال وتفكر بتوم. هذا الرجل يقرأ افكارها وينفذ الى اعماقها كمن يقرأ كتاباً مفتوحاً.

توجه الاثنان الى غرفة الجلوس فاستقبلتهما نظرات توم الحائرة، ونظرات الوالدة المتعجبة ونظرات الوالد الراضية. . .

بعد تبادل كلمات المجاملة التقليدية كان توم اول المنسحبين ثم تبعه راندال.

قبل صعوده الى غرفته سأل جيمس هالام ابنته:

«اعجاب السيد مرسييه بك كان واضحاً. اليس كذلك؟».

«خيالك واسع يا ابي فأنا لم الاحظ ذلك».

«ربما انت على حق- قال الأب ذلك بسخرية واضاف- ربما خيالي واسع».

كان الطقس دافئاً في اليوم التالي عندما خرجت لورا للتسوق. بعد انتهائها من شراء الاغراض اتجهت نحو البحيرة للتنزه. أخذت ترمي الخبز للبط... كم هي صادقة هذه الطيور في تلخيصها مأساة الانسان الساعي وراء لقمة عيشه، وراء حاجاته المادية، وراء المجد والشهرة... تنافسُ البط على كرات الخبز يجسد صراع الانسان مع الحياة ومع المادة... وفيما هي غارقة في التأمل سمعت وقع خطى. صارت تعرفه جيداً: جاء راندال.

لم تنتظر ان يبدأ هو الكلام فسألت بنفور:

«ماذا تفعل هنا؟».

ليس راندال بحاجة لمن يعلمه فنون الاجابة وطرق الكلام.

«اتأمل براءة وجهك وطهارته».

تجاهلته لورا واكملت سيرها حول البحيرة وعيناها غارقتان في مراقبة النسيم يحمل ورقة صفراء من تحت شجرتها ويرميها في الماء. هذا هو الانسان الضعيف، الذي لا جذور قوية له، تجرفه عواصف الحياة وتطرحه على الهامش.

اخذ راندال يلاحقها من دون ان يحاول ايقافها او التحدث اليها، لكنها اخذت المبادرة وسألت:

«ماذا تريد؟».

«لن اصرح بما اريد لأنني بغنى عن كلماتك الجارحة».

«اتحاول اغاظتي من جديد؟ الا يكفيك ما سببته حتى الآن؟».

«في الحقيقة اتيت لادعوك الى حضور مسرحية الليلة».

«كلا، شكراً على الدعوة».

تجاهل راندال جوابها وتابع:

«تحدثت في الموضوع مع ابيك ووافق على ذهابك معي».

«كيف تجرؤ على فعل ذلك دون علمي؟».

«سامر بك في السابعة، كوني جاهزة».

قال راندال هذا وانصرف.

خوفاً على وظيفة ابيها قررت لورا مرافقته الى المسرح. ولكنها امضت بقية النهار تفكر في هذه الأمسية وكأنها ذاهبة الى السجن لا الى مكان للهو. عندما اتى راندال في المساء ابى جيمس هالام الا ان يظهر محبته الزائفة لمخدومه فقال:

«لطف كبير منك يا سيدي ان تدعو لورا لحضور مسرحية. لا تتصور كم فرحت بذلك».

كانت لورا تعتقد بأنه لؤم كبير لا لطف كبير، لكنها نجحت في تأكيد رأي والدها الذي تكلم باسمها وقبل الدعوة دون استشارتها.

«بالطبع».

اختار راندال مسرحية كوميدية سرعان ما انسجمت لورا في جوها واخذت تضحك كطفلة صغيرة متناسية وجود الرجل الى جانبها.

خلال الاستراحة توجه الاثنان لتناول عصير البرتقال فاستغل راندال ذلك ليذكر لورا بأنه موجود.

«كل مرة اراك تبدين مختلفة، كنت في الصباح كطفل مشاغب، بالأمس اميرة راقية، اليوم فتاة صغيرة تفكر في

فروض المدرسة. يعجبني فيك تغيرك الدائم، معك يحس الرجل كل ساعة انه مع فتاة جديدة...».

اكملت لورا جملته:

«فلا يعود بحاجة لأن يطارد الفتيات ويكتفي بواحدة».

اختارت لورا قصداً فستاناً يظهرها كتلميذة لعل راندال يشعر انها صغيرة جداً ولا تناسبه، لكن الرجل مصر على الذهاب بهذه العلاقة الى اقصى الحدود ضارباً عرض الحائط الفارق الكبير في السن بينهما... وبعد قليل عادا الى مقعديهما لمتابعة الجزء الثاني من المسرحية. هذه المرة لم يدعها راندال تتذوق طرافة المشهد اذ سرعان ما امتدت يده لتأسر يدها بقوة لا مجال معها للتملص.

سلمت لورا بالأمر عساه يكتفي بذلك لكنها كانت مخطئة فاذا براندال يرفع يدها الناعمة الى شفتيه ويغرقها بالقبلات السريعة النهمة. تجاهلت فعله مهتمة بما يدور امامها على الخشبة لكن راندال كان خبيراً الى درجة جعلها تنزعج وتفقد التركيز اللازم لمتابعة الكوميديا.

فما كان منها الا ان داست بكعبها العالي على رجله. فضحك راندال وحرر يدها هامساً:

«سأتركك تتابعين المسرحية لأنه لن تتاح امامك الفرصة للخروج مع الحبيب توم الى مثل هذه الأماكن».

تظاهرت لورا بعدم سماع ما قال لأنها لا تريد افساد الجو المرح الذي وفرته لها المسرحية والذي ساعدها على نسيان بعض همومها. بعد اقفال الستارة اقترح راندال التوجه لتناول العشاء

فرفضت الفكرة بشكل قاطع مصرة على العودة الى المنزل. اوصلها الى البيت لكنه لم يدعها تفلت منه بالسرعة التي ارادتها...

«راندال...».

ادركت لورا انها ترغب لا شعورياً في دفن وجهها في صدره الرحب، كانت بحاجة الى ملاذ امين يقيها صعوبات الحياة. ربما كانت سطوة راندال تجذبها اليه لتعوض عن ضعفها ورقتها.

«ارغب في رؤية وجه توم الحبيب عندما يراك تعانقينني بهذه الحرارة».

خرجت لورا من السيارة مذعورة ودخلت الى البيت حيث ارتمت على احد المقاعد واخذت تجهش بالبكاء. لقد خانت حبها لتوم وفقدت احترامها لنفسها. كل المبادىء التي تؤمن بها انهارت واصبحت اطلالاً.

في داخلها يتصارع عدوان لدودان: الحب والرغبة. الحب يحركه توم والرغبة يوقظها راندال. والفتاة ضائعة بينهما لا تعرف أين الحقيقة. من انا؟ سؤال يمزقها. تحب توم بكل جوارحها، وترغب براندال بكل غرائزها...

المهم ان تخرج سالمة من هذا الصراع العنيف...

٥ - المصيدة

مرّ اسبوع دون ان ترى لورا وجهاً لراندال. وذات مساء اوصل اباها في سيارته. وكانت لورا تعد الطعام في المطبخ عندما سمعت صوته. بعد عشر دقائق دخل فرفعت عينيها نحوه بعدائية. ووضع الورود على الطاولة وتناول قطعة من الخبز ليتذوقها.

سألته دون ان تشكره على الورد:

«هل انت باق للعشاء؟».

«اعتبر هذا السؤال دعوة؟».

«تعني ان ابي لم يدعك؟».

«لم يفعل. ربما بانتظار ان تصدر المبادرة منك».

لم تزد لورا بل تابعت عملها بينما جلس هو يراقبها بصمت. حاولت تجاهل وجوده لكنها لم تستطع. شعرت بعينيه تصبان ناراً على كل ذرة من جسمها وبعد قليل نهض من كرسيه وذهب تاركاً اياها في حيرة وارتباك. هل سلم بالأمر الواقع وعدل عن مطاردتها؟ لا ليس من هذا النوع، فهو لا يمكن ان يستسلم بسهولة. لا تعلم لماذا شعرت بفراغ لغيابه سبعة ايام... ايمكن ان تشتاق الى رجل تكرهه؟ ام ان الانسان عندما يعتاد على شيء يفتقده حتى ولو كان لا يحبه... انفاق مظلمة تدخل فيها لورا ولا تجد منها مخرجاً.

زيارات توم لم تنقطع بالطبع، وفي كل مرة تراه لا يمكن لها ان تكتم شعوراً بالذنب نحوه. توم لا يعلم بما حدث لها مع راندال لكن الأمر مكتوب على جبينها بحروف سوداء نافرة. بعد ايام من الحفل الذي اقامته بمناسبة ذكرى ميلادها العشرين بحضور الاقارب والاصدقاء زارهم راندال قبل الظهر ومعه مجموعة من الكتب والمجلات للسيدة هالام. مكث يتحدث للوالدة حتى حل الظهر اضطرت لورا الى دعوته الى الغداء فرفض بابتسامته المعتادة، لقد تعمد البقاء حتى موعد الغداء ليرى الفتاة تتنازل وتدعوه ليبقى. وعندما تحققت رغبته خذلها ومضى.

في المساء اخبرت السيدة هالام زوجها بمجيء راندال، فضحك وقال موجهاً كلامه الى لورا:

«يبدو ان السيد مرسيه اصبح جزءاً من البيت. اتساءل عما يجذبه؟ لربما اواصر الصداقة التي تربط بينه وبين زوجتي!».

ومر الخريف وحل فصل الشتاء البارد. شيئاً فشيئاً عادت حياة آل هالام الى وتيرتها السابقة باستثناء تطور واحد: زيارات راندال مرسييه المتكررة. تدريجياً اعتادت لورا حضوره فأصبح مألوفاً وتناست خطره. ولم يعد راندال يحدثها بأي موضوع غرامي بل صار مجرد صديق للعائلة. لكن لورا كانت تعلم في قرارة نفسها ان راندال يخطط لشيء ما ولا بد ان يفجر قنبلته يوماً. كان احياناً يتناول العشاء عندهم لكنه كان يمضي معظم الوقت يراقب عملها في المطبخ. يرافقها الى السوق كحارس امين، او يجلسان للعب الشطرنج والنرد. ومرة اصطحبها الى المسرح لكنه لم يحاول ان يمسها بل اكتفى بمشاهدة المسرحية. تصرفاته جعلت العداء بينه وبين لورا يتحول الى ألفة. وجعلت الجليد يذوب بينهما شيئاً فشيئاً.

ذات ليلة وصل جيمس هالام الى البيت شاحباً، متوتر الاعصاب، فقلقت لورا عليه ولكنه رفض الاجابة عل اسئلتها الملحة. فاقنعت نفسها ان سبب حالته هذه هو تراكم الأعمال عليه لأن الشركة تضع جردة لحساباتها في مثل هذا الوقت من كل سنة. ولا بد انه سيعود الى طبيعته المرحة بعد انقضاء فترة وضع الجردة.

مساء اليوم التالي ازداد جيمس هالام شحوباً وتوتراً. على العشاء ابلغها فجأة ان راندال سيحضر بين لحظة واخرى.

«راندال يريد ان. . . ان يسألك شيئاً يا لورا. . .».

اخذت الفتاة تتساءل عن ماهية هذا السؤال وعن سبب ارتباك ابيها وتلعثمه في الكلام.

بعد قليل وصل راندال فانسحب جيمس هالام وزوجته من الغرفة تاركين لورا تواجهه وحدها.

تسارعت دقات قلبها وسرت رعشة في جسمها. ماذا يريد راندال؟ اخيراً، تكلم الرجل بنبرة هادئة وواثقة لا اثر فيها لأي انفعال:

«هل تقبلين الزواج مني؟».

انعقد لسان لورا من الدهشة. اهو جاد في ما يقول؟ في داخلها تنامى احساس غريب بالانتصار لأن راندال المتعجرف يرغب في التنازل والزواج. من المخجل ان ينتابها شعور كهذا، لكنه حقيقة لا تقبل الجدل.

سبق أن حذرها من انه ينال دائماً ما يريد، وقد برهن ذلك مراراً. كان قاسياً لا يرحم في مطاردته وعندما ادرك انها لن تصبح عشيقته قرر ان يجعلها زوجته ليصل الى مبتغاه.

عيناه القاسيتان سمرتاها في مكانها ومنعتاها من الكلام.

«انتظر منك جواباً. اعلم ان العرض مفاجىء. . .».

قاطعته قائلة:

«انت تعلم ما هوجوابي وتعلم اني احب توم، فلماذا تعد نفسك؟».

تابع راندال كلامه بهدوء وكأنه لم يسمع ما قالته الفتاة:

«تحدثي الى ابيك وسأعود غداً لأخذ الجواب».

ثارت لورا لكرامتها بعد ان تجاهل رأيها:

«الم تفهم بعد؟ انا لا احبك ولا اريد الزواج منك!».

ادار راندال ظهره واتجه نحو الباب. لحقت به وامسكت

بذراعه بقوة. نظر اليها بقساوة جليدية لم تعهدها فيه من قبل.

«انا اعني ما اقول. افضل الموت على ان اكون زوجة لك!».

«يا عزيزتي الأحداث تلاحقت بسرعة. انت مرغمة على الزواج مني».

خرج راندال وتركها في حيرة وذهول. ولم تفهم ما عناه بكلماته الأخيرة.

في اللحظة ذاتها اطل والدها والقلق باد على وجهه:

«لماذا ذهب؟ ماذا حدث؟».

قالت لورا في نفسها انه لا بد مدرك لهدف زيارة راندال فأجابت بفظاظة:

«رفضته».

امتقع وجه جيمس هالام حتى اصبح ابيض كالثلج وردد:

«رفضته... - سقط على ركبتيه واضاف- يا الهي لقد سببت خرابي برفضك!».

كانت لورا تعلم ان والدها يحبذ زواجها من راندال لأن ذلك سيدعم مركزه في الشركة من جهة، وسيؤمن لها حياة رغيدة من جهة اخرى. لكنها لم تكن تتوقع ردة الفعل هذه على رفضها مشروع الزواج.

«ابي ما بك؟ ماذا حدث؟ ارجوك افهمني».

انهار الرجل واعترف بكل شيء:

«راندال مرسييه اكتشف اني اختلس المال من الشركة منذ عدة سنوات. اتعتقدين ان راتبي وحده كاف لأؤمن لك ولأمك حياة شريفة؟ مرضها اجبرني على ذلك، انا احبها كثيراً

وحرصي على بقائها حية دفعني الى اختلاس المال لأسدد تكاليف العلاج الباهظة. كانت التجربة مغرية جداً لكوني اتعامل بمبالغ ضخمة يومياً في حين ان راتبي لا يكفي لشراء بزة واحدة من بزات مرسييه».

وتابع حديثه بصوت متهدج تخنقه الدموع:

«رتبت دفاتر الحسابات بشكل لا يمكن معه اكتشاف عملية الاختلاس. كنت مطمئناً حتى ارتكبت غلطة في الحسابات جرى اكتشافها عند وضع الجردة... وبدأ المحاسبون بالتدقيق فاكتشفوا غيرها وغيرها الى ان افتضح امري. ارجوك يا لورا، لا تلوميني على فعلتي هذه، فأنا لم اكن احتمل مشاهدة امك تذوب يوماً بعد يوم دون ان احاول فعل شيء. ارجوك سامحيني...».

اغمضت الفتاة عينيها والحقيقة سكين تعمل في قلبها تمزيقاً.

«وماذا كان موقف راندال؟».

وجد والدها صعوبة في الاجابة:

«بعد ان اسمعني كلاماً قاسياً فجر قنبلته الموقوتة. فبدل ان يسلمني الى الشرطة قال انه لا يريد فضائح في العائلة ولذلك لن يلاحقني جزائياً... لم افهم بادىء الأمر قصده لكني ادركت بعدئذ اننا وقعنا ضحية الابتزاز: رأسي مقابل ان تصبحي زوجة له».

«يا الهي! فهمت الآن سبب ثقته بنفسه عندما وجه الي طلبه».

نظر والدها اليها باسترحام:

«انه يعجبك اليس كذلك؟ شاب وسيم تتمناه كل الفتيات. لماذا لا تكونين مثلهن بحق السماء؟ ستصبحين ثرية وستعيشين مطمئنة، كل ما تطلبينه تحصلين عليه».

اجهشت بالبكاء وتمتمت:

«انا احب توم».

«توم نيكول؟ الطبيب العنيد المتمسك بمبادىء بالية. ستبقين فقيرة كل حياتك! لا مجال للمقارنة بين الاثنين. راندال مرسييه سيغرقك بالمال بينما لن يستطيع توم نيكول الا ان يقدم حياة تعيسة مليئة بالشقاء».

«ما نفع المال والجاه اذا فقد الحب؟».

«لورا فكري بمصيري ومصير والدتك».

اخذت تحدق بوالدها:

«اتعتقد انه سيفضح امرك للشرطة اذا لم اتزوجه. لا يمكن ان يكون قاسياً الى هذه الدرجة».

«حتى اذا لم يفعل ذلك اكون قد انتهيت. سيطردني من الشركة من دون تعويض ومن دون اعطائي افادة عمل مما يجعل حصولي على وظيفة اخرى امراً مستحيلاً».

فهمت لورا الآن المشكلة تماماً فاخذت ترتجف من الخوف:

«وما العمل يا والدي؟».

«الأمر بيدك. فكري بوالدتك قبل ان تتخذي اي قرار، لأن الصدمة ستكون قاتلة اذا عرفت بأي شيء».

مسحت دموعها وقالت وهي تتذكر كلمات راندال المتهكمة:

«لا خيار لدي في اتخاذ القرار...».

«انا واثق يا حبيبتي، من انك ستعيشين حياة سعيدة معه لأنه يحبك حباً جارفاً».

حب جارف. لا ليس الأمر حباً جارفاً بل رغبة جامحة. ولكن كيف السبيل لأن يفهم والدها الحقيقة؟ هو لا يعلم طباع راندال ونفسيته الحقيرة الباحثة عن الملذات المادية؛ العابث بكل القيم الروحية والمبادىء السامية.

«ماذا قررت يا ابنتي؟».

«القرار ليس لي. انا مرغمة على قبول هذا الزواج».

لم تنم لورا تلك الليلة، وفي الصباح شغلت نفسها بالعمل في المطبخ. مشكلة جديدة طرأت، كيف تبلغ توم بالأمر؟ لا شك ان الصدمة ستكون عنيفة بالنسبة اليه.

عندما رن جرس الباب هرعت لتستقبله بعينين متعبتين ووجه شاحب.

فوجىء توم لحالتها وسألها بقلق بالغ:

«ما الأمر يا لورا؟ اليست والدتك على ما يرام؟».

«امي بخير يا توم. تعال الى المطبخ، اريد ان احدثك بأمر هام».

تبعها الشاب وهو يتساءل عما يمكن ان يكون مصدر هذا الشحوب في وجهها، لا بد ان شيئاً خطيراً حصل.

نظرت اليه كطفل خائف من ذنب ارتكبه:

«راندال مرسييه طلب يدي».

لمحت اثر كلماتها في عيني توم الذي ادار ظهره وسار نحو

النافذة يراقب الحديقة.

«رفضت طلبه بالطبع. لكن والدي اطلعني على امر جعلني لا املك الخيار الا بالموافقة».

«ماذا تعنين؟».

«كل ما يمكنني ان اصارحك به هو ان ابي في وضع مالي حرج جداً يجعل راندال متحكماً بمصيرنا جميعاً. اذا لم اقبل به زوجا ينهار البيت على من فيه».

اطرق توم يفكر في حل للمشكلة، في مخرج ينقذ لورا من راندال ويفتش عن كلمة يقولها للفتاة المغرمة به والتي احبها بصمت. عبثاً حاول. ايصرح لها بحبه الآن؟ كلا، لأن ذلك سيزيد من مرارة الواقع، فلم يجد ما يقوله الا:

«ماذا ستفعلين؟».

«سأنفذ رغبة والدي لانقذ امي من موت محتوم فيما لو علمت بالأمر».

«اواثقة انت من انه لا توجد طريقة لتفادي المأزق؟».

«لا استطيع اخبارك بكل الحقيقة، لكن كن على ثقة بأنها الوسيلة الوحيدة...».

هز توم رأسه محاولاً تهوين الأمر:

«على الأقل ستعيشين معه مدللة وسيحافظ عليك كقطعة اثرية ثمينة. انه الرجل القادر على العناية بك...».

خرج توم واقفل الباب وراءه بهدوء. ارادت لورا ان تصرخ في وجهه: انت الرجل الذي احتاج اليه! لكنها كتمت الصرخة في قلبها لئلا تزيد الطين بلة...

وصل راندال بعد الظهر ليأخذ الجواب الأكيد. لم تكن لورا تشعر بشيء تجاه هذا الرجل. كيف يمكن ان تعيش حياتها مع شخص لا يعني لها شيئاً؟ فقدانها توم جعلها مجردة من اي احساس!

«قبلت عرضك يا سيد مرسييه».

لفظت هذه الكلمات دون صعوبة تذكر، لأنها اصبحت بلا معنى بالنسبة اليها وكان واجباً عليها تنفيذه.

دهش راندال لهدوئها فأمسكها من كتفيها وهزها بعنف.

«تبدين كالمومياء! انا لا اريد الزواج من مومياء بل من صبية زاخرة بالحياة!».

«وماذا تنتظر مني ان افعل؟ ان اطير فرحاً ربما؟ حسناً، ربحت معركتك وكفى».

«هل اخبرت الطبيب المحبوب بالأمر؟».

«نعم».

«الم يحاول اقناعك بالعدول عن هذه الخطوة؟ وزاد بتهكم:

«لا لن يفعل ذلك لانه لا يحبك. عواطفه محصورة في اصدقائه الفقراء».

«ما الذي يجعلك متأكداً من ان توم لا يحبني؟».

«الأمر سهل يا عزيزتي. انت تتجاوبين مع عناقي، مما يعني ان توم لا يهتم بك ولا يمنحك الحنان الكافي».

اعترفت لورا بقرارة نفسها بأنه على حق. توم لا يحبها او لا يعرف كيف يحبها، في حين ان راندال يعوض حاجتها الى الحنان والعاطفة. اذا تمكنت من جمع توم وراندال في شخص

واحد لوصلت الى غايتها، لكنه حلم والانسان يعيش على الاحلام ولكنه لا يعيش منها.

بعد ان وقعت الواقعة ارادت لورا ان تعرف دوافع هذا الرجل واهدافه الحقيقية، فسألته:

«قل لي بصراحة يا راندال، انت لا تحبني فلماذا تريد الزواج مني؟».

اخذ راندال يداعب شعرها ويلامس خدها.

«لا يهمني قلبك ولا حبك، كل ما اريده هو ان تصبحي ملكي. اهذا واضح؟».

ضمها اليه بقوة، ولم تقو على مقاومة اغرائه وغابا في عناق طويل.

«ارجو الا تكوني تتخيلين نفسك مع المحبوب توم كلما لمستك».

«لا اعلم لماذا تكلف نفسك مشقة الزواج مني، فأنت في موقف يخولك ارغامي على تلبية جميع رغباتك دون زواج».

تعجب راندال لصراحتها وقال:

«قد آخذ كلامك على محمل الجد واقبل الدعوة المغرية».

«انا اعني ما اقول».

مرت لحظات طويلة قبل ان يقرر راندال:

«لا يا عزيزتي. عرضك وان كان مغرياً لا يكفيني. لن ترضيني علاقة مؤقتة بك، انا اريدك الى الأبد لاتمتع بجمالك على مهل».

لم يكن اقتراح لورا الا لاغاظة راندال لكنه اعتبره جدياً.

أرعبها تصميمه وخبثه وذهابه الى ابعد الحدود.

«عما قريب سأمتلك جمالك يا عزيزتي لورا، واصبو الى اليوم الذي امتلك فيه عقلك».

«لا اعتقد ان هذا اليوم سيحل ابداً. كما ان كلامك على الامتلاك يجعلك شبيهاً بسيد يتحدث الى عبده».

«انت على حق. نويت ان اكون سيدك منذ اللحظة التي رأيتك فيها. شيء غامض يجذبني اليك يا حلوتي. شيء يجعلني غير عابيء بالعالم الخارجي، شيء سيجعلني انسى جريمة والدك الفظيعة».

«لا اريد سماع اي شيء عن هذا الموضوع بعد الآن!».

«حسناً، ما رأيك بالذهاب لانتقاء الخاتم؟».

«عن اي خاتم تتكلم؟».

«خاتم الخطبة بالطبع».

صعدت لورا الى غرفة والدتها لتعلمها انها خارجة مع راندال وتركتها بعهدة السيدة نايت.

اصطحبها الى اكبر محل للمجوهرات في لندن. وعرض التاجر امامها مجموعة كبيرة من الخواتم الثمينة. بهرت لورا ولم تدر ايها تختار. لكن حسم راندال الأمر واختار واحداً عليه شعار الامتلاك. نسخة عن خواتم الرقيق في العصور الغابرة.

«سنشتري هذا الخاتم. ايعجبك يا حبيبتي؟».

لا ضرورة لأن تجيب على السؤال لأن رأيها غير ذي اهمية. في الأمور المصيرية لم يؤخذ به فلماذا يعتمد الآن؟ عادا الى المنزل بعد ان سدد راندال ثمن الخاتم الباهظ. وفي غرفة

الجلوس تناوله من علبته ووضعه في اصبعها، ثم رفع يدها الى شفتيه وطبع عليها قبلة ناعمة وكالعادة شعرت لورا بالرعشة تغمر جسمها. ارادت ان ترى في عينيه تلك النظرة الشغوف التي تشعلها وتذيبها، تلك النظرة التي كانت بداية شقائها عندما تعرف اليها تحت نور مصباح الشارع في ذلك الحي الفقير.

«حان الوقت لتقابلي العائلة، سأوعز الى امي بأن تحضر حفلة الخطبة. الى اللقاء».

«الى اللقاء».

٦ - الفوز بالرهان

لم تقتنع السيدة هالام بخطبة لورا الى راندال عندما فاتحتها ابنتها بالأمر. هي تعلم ان ابنتها تحب توم نيكول فلماذا قررت الزواج من رجل آخر؟ واضح ان راندال معجب كثيراً بلورا ولكن يبدو ان هذه الأخيرة لا تحفل كثيراً بهذا الاعجاب. السيدة هالام امرأة ذكية وخبيرة في شؤ ون الحياة. لا يوجد فتاة تحب كل هذا الحب وتنقلب بين ليلة وضحاها. لا بد من وجود عامل مهم جعل لورا تنسى حبها لتوم وتقرر الزواج من راندال. اخذت الوالدة تتحين الفرصة لمفاتحة ابنتها بالموضوع، لكن لورا كانت تتهرب دائماً وكأنها تخفي شيئاً خطيراً في نفسها.

تمكنت اخيراً من حشرها واستجوابها.

«حبيبتي لورا، اتدركين حقاً ما تفعلين؟».

اجابت الفتاة بكل ما تملك من قدرة على الاقناع:

«بالطبع يا امي».

لكن الوالدة لاحظت اضطراباً وارتباكاً في صوت لورا خصوصاً عندما زادت:

«لو لم اكن واثقة من نفسي لما اقدمت على هذه الخطوة».

«قد يكون غرّك المال».

«تعلمين ان المال لا يعني لي شيئاً يا والدتي، لم افكر بهذه الناحية ابداً عندما قررت الزواج من راندال».

تنهدت السيدة هالام وقالت:

«آمل ان تكون هذه هي الحقيقة، فأنا لا اريد ان اراك تشقين في حياتك الزوجية. بل اريد ان اراك سعيدة دائماً مع عائلتك كما انا سعيدة مع عائلتي...».

دخل عليهما فجأة راندال، وتكلم بنبرة ارعبت الوالدة:

«لا تقلقي يا سيدتي فابنتك ستسعد معي».

لم تتمكن لورا من اخفاء القشعريرة التي احست بها. نظرت اليها امها خائفة. لماذا ترتعد الفتاة اذا سمعت صوت خطيبها؟ انحنى راندال ليقبل لورا. راقبت السيدة هالام كيف رفعت ابنتها خدها بطاعة وانصياع وعندما رأت حرارة قبلته وتجاوبها زالت شكوكها واقتنعت بأن لورا تحب فعلاً هذا الرجل.

«اسمحا لي بأن انسحب فمشاغلي اليوم كثيرة. اعدت

والدتي اجتماعاً عائلياً صغيراً الاسبوع المقبل. ارجو ان تتمكني من الحضور يا سيدة هالام لأن امي متشوقة للتعرف اليك».

«كن اكيداً يا سيد راندال ان شعوري مماثل».

شعرت السيدة هالام بالفرح يغمرها لأن راندال سيصبح صهرها بعدما تأكدت من ان لورا لا تطمع في ماله بل تحبه حباً حقيقياً بعد ان رأت تجاوب ابنتها مع قبلته ونظراته الهائمة. في اي حال نصحتها مراراً بأن الحياة مع توم نيكول صعبة بسبب مهنته الشاقة، ويبدو ان لورا عملت بنصيحتها الثمينة.

وضع راندال كل ما يملك من تهذيب ورقة في سؤال:

«هل تسمحين يا سيدتي بأن امر بعد حوالى الساعتين لاصطحب لورا في نزهة؟».

«بالطبع يا عزيزي. يجب ان تتمتعا بشبابكما. ستأتي السيدة نايت للاعتناء بي».

حضر راندال في الموعد المحدد وفي السيارة بادر بالسؤال:

«لاحظت ان امك حزينة وغير مرتاحة لزواجنا».

«امي تعرف اني احب توم وتستغرب تبدلي السريع».

قاد راندال السيارة بصمت واتجه الى احدى المناطق الريفية خارج لندن. وصلا الى مكان منعزل تنبسط فيه المراعي الخضراء الخلابة. اوقف السيارة بجانب الطريق واستعد للنزول.

«احب المشي في هذه المنطقة».

«لكن البرد اليوم قارس. والأفضل البقاء في السيارة».

«يجب ان تتعلمي عدم مخالفة اوامري».

نزل راندال من السيارة فلم تجد لورا بداً من اللحاق به. وسارا في ممر ضيق يقود الى مرج اخضر واسع يرتفع شيئاً فشيئاً ليشكل تلة صغيرة.

لم يتوقف راندال الا بعد بلوغه اعلى التلة. وصلت لورا لاهثة من التعب والريح الباردة تتلاعب بشعرها الذهبي.

كان المشهد من هناك رائعاً، فعلى اطراف المقلب الثاني من المرج تترامى بيوت قرية صغيرة حالمة.

تحول راندال فجأة الى شاعر ملهم:

«لطالما تمنيت ان ابني قصراً على هذه التلة، لاعيش فيه مع شريكة حياتي».

نظرت اليه لورا بخبث وعلقت:

«اراهن انك تردد هذا الكلام لكل فتاة تصطحبها الى هنا».

«ربما لم اعد اذكر».

كان يعرف اختيار كلماته بدقة لتأتي جارحة قدر الامكان. لكن الغريب في الأمر ان لورا شعرت بما يشبه الغيرة عندما تخيلته مع امرأة اخرى. لماذا تغار على رجل لا تريده؟ تساؤل جديد يضاف الى قائمة تساؤلات لا تجد لها تفسيراً.

طوقها راندال بذراعه فأحست بالدفء يغمرها.

«أقلقة انت لأنك ستقابلين العائلة؟».

«قليلاً».

«لا سبب للقلق. كلهم لطفاء وستحبينهم. الجميع يلاحقونني منذ سنوات كي اتزوج واخيراً علقت. اصبحوا الآن متحرقين للتعرف الى من تمكنت مني».

«هم لا يعلمون هدفك من الزواج بالطبع ولا يعلمون من تمكن من الآخر».

«علينا يا عزيزتي ان نحافظ على الشكليات امامهم، ونظهر بمظهر الزوجين اللذين يحبان بعضهما كثيراً. وخصوصاً امام والدي الذي لا تفارقه فكرة وجود احفاد وسيسعد اذا انجبت له حفيداً».

احمرت لورا خجلاً وادارت وجهها لتتأمل جمال المشهد الطبيعي. نظرت الى البعيد حيث يضفي الضباب على الافق جواً من الغموض.

تمنت لو بامكانها الغوص في هذا البحر السحري لتعيش هناك حورية الى الأبد.

انتشلتها من احلامها يد راندال التي اخذت تشد على كتفها.

«انجاب الأولاد هو سبب زواجك مني اذن».

«هو السبب الثاني، السبب الأول تعرفينه».

تسرعت لورا في محاولة لاقناعه بعدم صلاحها لهذه المهمة.

«وسامتك ومالك يسهلان عليك الحصول على فتاة اجمل مني بكثير».

«لن ادعي بأنك اجمل فتاة في العالم. لكن فيك شيئاً مميزاً يجعلني اعرض عن غيرك».

«وما هو هذا الشيء المميز؟».

«لا اعرف. ربما كان ذلك من قوانين اللعبة. فاذا اكتشفته لم يعد له النكهة ذاتها».

«لم ار في حياتي رجلاً يعلق مصير فتاة بلعبة يمارسها».

ضحك راندال لملاحظة لورا وقال:

«الأمر غريب فعلاً! لكن هذه اللعبة مهمة جداً بالنسبة الي لدرجة تجعلني لا اتخلى عن خوضها».

بعد ان اقترب منها اكثر تابع:

«هل تظنين ان هذه اللعبة تثيرك انت ايضاً؟».

لم تجب لورا بل حاولت ان تحيد وجهها لئلا يقرأ الجواب عليه. امسك راندال وجهها بيديه القويتين حتى يجبرها على النظر في عينيه.

«لا حاجة لأن تقولي شيئاً. هذه اللعبة تعجبك وعليك ان تكوني شريكتي فيها... واضاف بعد ان نظر الى ساعته الذهبية:

«علينا ان نعود الآن».

في طريق العودة ظلت لورا صامتة تتأمل ما ينتظرها وتحاول تجميل صورة مستقبلها القاتم. راندال بدوره كان يتخيل ما ينتظره من اثارة ومرح. ما ابعد تفكير الواحد عن تفكير الآخر...

وان تكن لمسة واحدة من راندال تزيل البعد...

في اليوم التالي اصطحبها لتشتري فستاناً خاصاً بحفل الخطبة.

اختار لها واحداً يناسب جسمها الرشيق.

حدق راندال فيها بعينين نهمتين وقال:

«اعتقد انه يناسبك تماماً يا حلوتي. ما رأيك؟».

«كما تشاء».

عندما عادا الى البيت ارتدت لورا الفستان لتراه امها.

«تبدين كالأميرة يا حبيبتي، اليس كذلك يا سيد مرسيبه».

«انت على حق يا سيدة هالام والا لما افقدتني صوابي بهذا الشكل».

ثم وجه كلامه الى لورا بلهجة آمرة:

«استديري».

وبخفة فائقة تناول شيئاً من علبة يحملها وطوق بها عنقها الناعم. انعقد لسان لورا من الدهشة. كان عقداً من الزمرد في اطار من الفضة.

«ما رأيك بهذا العقد يا سيدة هالام، الا يناسب فستان لورا؟».

«ذوقك رائع يا عزيزي، اليس كذلك يا لورا».

اومأت لورا بالايجاب وهي تحدق بانبهار الى العقد الثمين.

«اعذراني الآن، علي العودة الى المكتب».

انسحب راندال بسرعة تاركاً الأم وابنتها تتأملان ما اشتراه وتتحدثان عن كرمه. لكن هذا غير كاف ليجعل لورا تسعد في زواجها وليطمئنها على مستقبلها فلربما كان ينصب لها بكرمه مصيدة، لينتقم منها بعد الزواج.

مر الوقت بعد ذلك بسرعة خصوصاً ان لورا كانت منشغلة بالتحضير لحفل الخطبة. وعندما حان الموعد المنتظر جاء راندال ليصطحبها مع والديها الى منزله. بدا في بزته السوداء وسيماً جداً كأنه خارج لتوه من علب الافلام السينمائية.

كان بيت آل مرسييه يتلألأ بالاضواء ترحب بالعروس الجميلة.

واستقبلهم رئيس الخدم بتعاليه المعتاد. عندما اراد ان يأخذ معطف لورا سبقه راندال وكأنه لا يريد ان يمس كنزه الثمين احد. قادهم راندال الى الغرفة الواسعة حيث اقيم الحفل السابق. والضيوف وان كانوا كثيرين لم ينشغلوا بالتحدث الى بعضهم فالجميع بانتظار عروس راندال. شعرت لورا بالعيون تتحول اليها وتتفحصها بدقة محرجة.

تقدم منها مرسييه الأب فاتحاً ذراعيه مرحباً. رجل نحيل، ابيض الشعر، تجاوز السبعين منذ زمن. وجدته لورا ضعيفاً وكأن عظام يده ستتحطم في يدها.

لم يقل والد راندال سوى:

«جميلة حقاً».

وبعد ان اعاد الأب الكنز الى ابنه اضاف:

«انا مسرور جداً بهذا الزواج يا ابنتي. تعالي لاعرفك ببقية افراد العائلة».

مرت لورا بالجميع تصافح، تبتسم، تستمع الى عبارات المدح... هي مرتبكة، خجول تسمع الاسماء بصعوبة... على الرغم من صعوبة المهمة تمكنت اخيراً من انجازها. لراندال شقيقتان متزوجتان، الكبرى نيكول تشبه اخاها كثيراً، في العقد الرابع من العمر، في عينيها سلطة يتبين منها بوضوح انها تسير شؤون المنزل وان زوجها ينفذ الأوامر... بصحبة نيكول وزوجها ولدهما رودي الذي قابلته لورا عندما اعترضها

هي وبات تلك الليلة في شرق لندن.

لم يبد على رودي انه عرفها. ارتاحت لورا لذلك لانها لم تكن ترغب بأن يعلم احد بظروف تعرفها الى راندال. اما شقيقة راندال الاخرى ارليت فتشبه والدها كثيراً. رقيقة، ناعمة، لا تملك سطوة راندال او نيكول. متزوجة ولها بنتان نيللي وهي فتاة جميلة في السادسة عشرة من عمرها وبربارة فتاة عادية في الثامنة عشرة. اما صهر راندال الثاني جون غراهام فرجل مرح يحب المزاح. سأل راندال بشيء من الخبث:

«يا لله عليك يا راندال، اين عثرت على هذا الجمال؟».

«والد لورا يعمل في شركتنا».

تدخل رودي في الحديث:

«لا تحتكر خطيبتك يا خالي العزيز فالمجال متاح لذلك بعد الزواج. وبالمناسبة، هل حددتما الموعد؟».

اجاب راندال والابتسامة عريضة على ثغره رافعاً صوته ليسمع الجميع:

«تباحثت مع والدة لورا بالأمر واتفقنا على ان يكون موعد الزواج في اوائل اذار المقبل».

نظرت نيكول بتعجب الى اخيها:

«اراك مستعجلاً جداً على الزواج بعد صيام طويل».

شعرت لورا وكأنهم يعتقدون انها اوقعت راندال في فخ الزواج طمعاً بماله. لكن راندال بتصميمه وثقته بنفسه خفف من وطأة نظرات الضيوف المنصبة عليها، اذ قال:

«انا مستعد لأن اتزوج في هذه اللحظة اذا وافقت لورا،

لكن العروس تريد ان تأخذ وقتها في الاستعداد».

بعد قليل اصطحبها راندال الى غرفة امه التي لم تشارك في الحفل بسبب مرضها.

«لا تتصوري يا عزيزتي لورا كم انا سعيدة لانك ستصبحين زوجة راندال. ولكن اريد منك ان تجيبي على سؤالي بصراحة: أمستعدة انت للزواج؟».

اجابت لورا بتردد:

«نعم يا سيدتي».

«ما اعنيه يا لورا هو انك ما تزالين صغيرة على الزواج خصوصاً ان راندال يكبرك بكثير».

تدخل الرجل في الحديث غاضباً:

«تتكلمين وكأنني عجوز هرم يا اماه! ما ازال في السادسة والثلاثين».

«وهي في العشرين».

انهى راندال الحديث بلهجة حازمة:

«سأتزوجها وكفى، لا تحاولي التدخل بعد الآن يا امي».

«حسناً، افعل كما تريد. انما اردت من سؤالي التأكد من ادراك الفتاة لما تقدم عليه».

بدل ان يعودوا الى الضيوف ادخل راندال لورا الى المكتبة.

«اتعتبرين الفارق في السن بيننا مهماً؟».

اجابت بالنفي لأنها تعلم ان الكلام لا يفيد شيئاً مع عناده.

«تعالي الي».

اقتربت منه فضمها الى صدره وهمس في اذنها:

«سأجد صعوبة في السيطرة على نفسي شهرين آخرين. الا ينتابك الشعور عينه؟».

تكلمت لورا وفي صوتها بحة:

«ارجوك يا راندال، كل شيء في اوانه جميل».

دفعها راندال بقوة:

«حسناً، لك ما تريدين. ستنالين خاتم الزواج قبل ان انال ما اريد. لكني اعدك بأني سأذيقك امر العذاب رداً على ما اعانيه الآن!».

مرت الأيام بعد حفل الخطبة سريعة دون ان ترى فيها لورا راندال كثيراً لأن عمله في الشركة كان يمنعه من تخصيص الوقت الكافي لها. اما والدها فتم نقله الى مركز غير حساس في الشركة لا مجال فيه للتلاعب والاختلاس. واقنع جيمس زوجته بأن نقله من وظيفته عملية ترقية تقديراً لجهوده وتفانيه في العمل.

تكفلت لورا بعملية التحضير للزواج: تعاقدت مع متعهد حفلات ليؤمن الطعام لحفل الاستقبال الذي سيقام بعد الزفاف، كما استأجرت قاعة كبيرة في احد الفنادق لاقامة هذا الحفل. ابتاعت كذلك فستان العرس وبعض اللوازم الاخرى. واخيراً اتفقت مع شركة لتأجير السيارات لتأمين نقل الضيوف الى قاعة الفندق لحضور الحفل.

لم يرض هالام ان يساهم مادياً في مصاريف التحضير للزفاف مع ان المال هو بالنتيجة ماله.

قبل اسبوع من موعد الزواج تدرب راندال ولورا على المراسم الدينية. ومرت الأيام الأخيرة بلمح البصر. كانت لورا

تأمل خلالها ان تحدث معجزة تجنبها الزواج. ولم تجرؤ ان تطلب من توم مساعدتها خوفاً من افتضاح امر ابيها.

في الليلة الاخيرة اصطحبها راندال الى العشاء. كان حديثه مقتضباً وجافاً. بعد العشاء اوقف السيارة امام بيتها لما ارادت الخروج منعها محاولاً تقبيلها. فرفضت بعنف فصفعها على وجهها وانفجر غاضباً:

«اياك ان تحاولي معارضة اي شيء يحلو لي القيام به بعد اليوم. اذهبي الآن فالانتقام اصبح قريباً».

ركضت لورا الى المنزل وهي تجهش بالبكاء. شاهدها والدها فابتسم وقال:

«العشاق يتشاجرون دائماً. لا بد ان اقتراب موعد الزواج جعل اعصابك متوترة هل هذا ما حدث؟».

لم تنتظر لورا نهاية الحديث بل صعدت بسرعة الى غرفتها وارتمت على سريرها وهي تتمتم:

«اكرهه امقته، حتى والدي لا يساعدني...».

وحل اليوم المنتظر. كان الجو مشرقاً والسماء صافية. اعدت لورا نفسها لحفل الزفاف واتجهت بسيارة فخمة مع والديها الى مكان الاحتفال.

بعد انتهاء المراسم الدينية اتجه العروسان وجميع الضيوف الى قاعة الفندق حيث اقيم حفل الاستقبال.

اخذت لورا تبحث عن توم الذي كان يبدو يائساً وحزيناً. فابتسمت له كأنها تطيب خاطره وتبلغه ان الأوان فات ولم يعد بالامكان انقاذها.

احست لورا بيد راندال تمتد الى عنقها لتخطف سلسلة ذهبية تتدلى منها حلية على شكل قلب.

«انها هدية من امي».

«اريد ان ارى ما في داخل القلب. لا بد ان فيه صورة لشخص عزيز».

فتح راندال القلب فاذا بصورة توم تطالعه ففتح احدى نوافذ القاعة ورمى بالسلسلة خارجاً.

حاولت لورا الاعتراض:

«قلت لك انها هدية من امي».

«لا اريد ان يخيم شبح رجل آخر على حياتنا. اياك بعد اليوم ان تقتني اي شيء يشير الى الطبيب المحبوب!».

بعد ان تناول الجميع الطعام ازيحت الطاولات لافساح المجال لاقامة حلقة للرقص.

لبست لورا قناع السعادة فرسمت على وجهها ابتسامة مصطنعة لتخفي حقيقة مشاعرها واخذت ترقص مع راندال.

بعد الرقص اتجه العروسان الى زاوية من القاعة حيث وضعت الهدايا. لاحظ راندال ان عيني لورا توقفتا كثيراً عند هدية معينة. حملها بيده فوجد عليها اسم توم نيكول. كانت زهرة من الكريستال مثبتة في اناء فضي فقال:

«يا لها من زهرة رائعة علينا ان نشكر توم يا لورا».

فجأة اوقع راندال الهدية من يده فتحطمت شر تحطيم. ضجت القاعة بأصوات المتأسفين من الضيوف على ضياع الهدية، فسارع راندال الى القول:

«يا لحماقتي! لا تهتمي يا حبيبتي سأبتاع لك واحدة مثلها تماماً».

احست لورا ان قلبها تحطم لا زهرة الكريستال. رأت توم شاحباً يحاول ضبط غضبه. رمته بنظرة حنونة فابتسم رغماً عنه واخذ يهز براسه مؤاسياً.

همست السيدة هالام في اذن العروس:

«حان الوقت لتغيري ثيابك».

عندما اصبحت لورا مع والدتها في غرفة جانبية رغبت في البكاء والارتماء في حضن امها.

تباطأت كثيراً في تبديل ملابسها لتبتعد قدر الامكان عن راندال.

عانقت امها طويلاً قبل ان تخرج الى القاعة. كان راندال بانتظارها وقد ارتدى بزة عادية مريحة.

تجمع الضيوف ليبلغوا العروسين تمنياتهم. امسك راندال بيدها وشق طريقه وسطهم الى السيارة.

انطلقت السيارة فنظرت لورا من الزجاج الخلفي ورأت توم يقف وحيداً والحزن باد على وجهه.

مرت دقائق دون ان يتكلم احدهما الى ان بدد السكوت صوت راندال الهادىء:

«سنذهب الى البندقية، المدينة الايطالية العائمة. البندقية هي مدينتي المفضلة، وانا واثق من ان شهر العسل سيكون ناجحاً».

«بالطبع».

قالت لورا ذلك وقلبها يقطر دماً على هدية توم المحطمة. لن تتمكن من محو خطيئة راندال هذه من مخيلتها ابداً. . .

توجها بالطائرة الى البندقية حيث كانت بانتظارهما في المطار، تنفيذاً لأوامر راندال سيارة فخمة. وانطلقا الى الفندق فوصلاه في موعد العشاء. بالكاد لمست لورا الطعام لأن الجوع حاجة بعيدة جداً في هذا الوقت، بدده تعب السفر مضافاً الى حادث هدية توم. . . الى زواجها من راندال وقد بدأت تعي الآن الحقيقة المرة لأن الأمور تسارعت قبل الزواج بشكل لم يتح لها المجال للتفكير بخطورة هذه الخطوة. بعد العشاء صعدا الى جناحها الفخم. تفاجأت لورا بكلمات راندال:

«تبدين متعبة وبحاجة الى النوم. سأذهب للتنزه قليلاً لعل الصداع الذي اصابني يزول».

تنفست لورا الصعداء بعد ذهابه. اخذت حماماً سريعاً وأوت الى الفراش. اخذت تصلي كي تنام بسرعة فتتجنب راندال. اخيراً زحف الكرى الى جفنيها فغطت في نوم هادىء مريح. . .

فجأة، افاقت على صوت الباب يفتح وراندال يدخل الغرفة. تظاهرت لورا بالنوم في حين تقدم منها راندال. ووقف قرب السرير يراقبها فبذلت مجهوداً كبيراً لتبقي عينيها مغمضتين.

دخل راندال الى الحمام فسمعت لورا صوت المياه وبعد دقائق احست به يتمدد قربها على السرير فتجمد الدم في عروقها ولم تعد تقوى على الحراك.

لم يتحرك راندال بادىء الأمر فظنت انه تعب وسينام. لكنها احست يده كالسوط على كتفها. تحسس راندال قميص النوم الطويل الذي ترتديه، فقال:

«ارتديت هذا القميص لتطفئي رغبتي. يا لك من واهمة!».

لم تجب لورا فاستشاط غيظاً ونهرها بعنف:

«واجهيني ايتها الغبية! اتظنين ان بامكانك التهرب من اتمام واجباتك كزوجة؟».

٧- عسل البندقية

فتحت لورا عينيها على غرفة مليئة بأشعة الشمس الدافئة، وعلى شعور بالفرح والخفة كأنها تسبح في الهواء فوق بساط الريح. اخذت تتأمل راندال وهو نائم. ما هي حقيقة هذا الرجل؟ انسان غريب دخل حياتها وقلبها رأساً على عقب. جعلها تكتشف في شخصيتها اشياء جديدة كانت مخبأة خلال علاقتها بتوم. عرفها على مظاهر اخرى عذبة للحب تمنت لو ظلّت بعيدة عنها.

مدّ راندال ذراعه دون ان يفتح عينيه او ينبس ببنت شفة وجذبها اليه واضعاً رأسها على صدره العريض.

«نمت جيداً كطفل تعب من اللعب يا حبيبتي».

«كيف تعلم ذلك؟ اترى وانت نائم؟».

«افقت منذ وقت طويل وتمتعت بمراقبتك بحرية تامة».

«ما هو برنامجنا اليوم؟».

اجابها وفي عينيه بريق عابث:

«سنبقى في هذا السرير المريح فأنا لا ارى سبباً لمغادرته».

تجاهلت لورا كلامه وكأن حقيقة الامس حلم جميل مرّ:

«اريد ان اكتشف البندقية ومعالمها».

«البندقية لن تهرب منا، الوقت أمامنا كاف للتعرف اليها. اما انت فليلة واحدة لا تكفي لاكتشافك».

شرعت لورا في محاولة جديدة لسحبه من السرير:

«اتضوّر جوعاً، ما رأيك بتناول الفطور؟».

اخذ راندال يداعب وجهها وقال ضاحكاً:

«الفطور! ما هذه الاهتمامات السخيفة؟ لديّ الآن امور اكثر خطورة. هذه البشرة الحريرية مثلاً».

مرة جديدة استسلمت لورا ليديه ونسيت امر الفطور...

لم يخرج العروسان من الغرفة، الا عند الظهر. تناولا بنهم طعام الغداء في مطعم الفندق الفخم.

«يبدو ان الغرام يفتح شهيّتك الى الطعام يا اميرتي».

«اخفض صوتك لئلا يسمعنا احد».

«الا يحق لي ان اتكلم عن الغرام مع زوجتي؟ الايطاليون يتفهمون العاشقين اكثر منا نحن الانكليز».

يتكلم راندال عن الغرام والعشق كأنه واثق من ان لورا

مغرمة به الى اذنيها.

«هل بامكاننا الخروج للتفرّج على البندقية الآن؟».

«ولم لا يا عروسي الحلوة؟ سنبدأ بنزهة في الجندول فهو الاطار الرومانسي المناسب لعروسين في شهر العسل».

التهمت لورا بعينيها روعة قصور البندقية التي تحيط بجانبي «الغراند كانال» فيما يشق الجندول المياه الجارفة في وسط المدينة.

قصور لم تفقدها السنون شيئاً من جمالها، صورها المنعكسة على صفحة المياه تضفي عليها جواً حالماً تخيّلت لورا معه انها تعيش في القرون الوسطى...

اشار راندال الى احد هذه القصور وقال:

«لي صديقة تعيش هنا».

«من هي هذه الصديقة؟».

تكلمت لورا بنظرة ملحة فنظر اليها راندال بتعجب:

«ارملة اميركية ثرية، باعت معمل الورق الذي كان يملكه زوجها واتت لتعيش هنا حياة مشرفة».

لم تتمكن لورا عندما تكلمت من اخفاء شعورها بالغيرة:

«ما اسمها؟».

«انطوانيت بيل فرنسية الاصل مولودة في الولايات المتحدة».

«هل هي جميلة؟».

وجهت سؤالها متظاهرة باللامبالاة لكن راندال عرف ان الغيرة تنهشها.

«جمالها يسلب الالباب وقد سنحت لي الفرصة للتمتع به».

كانت لكلماته اثر السكين في قلبها فتمالكت نفسها واقترحت:

«من واجبك ان تزورها ما دامت صديقة قديمة وعزيزة على قلبك».

فوجئت لورا لقبوله السريع بالفكرة، اذ قال:

«فكرة حسنة. سأخابرها عندما نعود الى الفندق».

ترجل العروسان في ساحة بيازا سان ماركو حيث ترافق طيور الحمام المتنزهين دون خوف من وحشية الانسان.

«ما اجمل هذه الطيور يا راندال خصوصاً انها لا تخاف من اذى البشر مع ان الانسان عدو لاخيه الانسان، فكم بالحرّي يكون موقفه تجاه الحيوان؟».

«موقف الانسان يختلف من عدائية الى محبة حسب معاملة الآخرين له. وموقفي منك هو اكبر مثال على ذلك. عاملتني بعدائية فرددت لك الكيل كيلين الى ان رضخت لمشيئتي».

جلسا في مقهى يعجّ بالسيّاح يتناولان عصير الليمون.

تنهدت لورا وقالت بحسرة:

«لو كنت حمامة لتمتعت بعطف الجميع ورعايتهم!».

«تتمنين ذلك لتفلتي مني وتطيري الى حبيبك توم، أليس كذلك؟».

«لا تذكر اسم توم على لسانك. انسان نبيل واحبه. انت تسلم بهذه الحقيقة ولكن لا سبب لتفتيق الجروح في كل مناسبة».

«سأنسيك يوماً هذا الحب».

«حلم بعيد المنال».

تجولا قليلا في اسواق المدينة حيث اشترى راندال بعض التحف البديعة.

وعادا الى الفندق بعد ان انهك التعب قدمي لورا الناعمتين.

انشغل راندال بمخاطبة الارملة الاميركية انطوانيت وبعد دقائق خرج الى الشرفة ليوافي لورا وهي تتأمل المدينة تنزلق في ظلام الليل.

«هل كلمتها؟».

«نعم وقد دعتنا الى حفل تقيمه في قصرها الليلة. اتساءل اذا كان بامكاننا تناول العشاء باكراً لنذهب بعد ذلك الى الحفل».

«وما مناسبة السهرة؟».

«لا مناسبة خاصة، فانطوانيت تقيم الحفلات للتسلية فقط».

واضاف راندال مبرراً:

«ظننت ان فكرة زيارة قصر قديم تثير اهتمامك فقبلت الدعوة».

«كما تشاء. لنبدل ثيابنا وننزل الى المطعم اذن».

في المطعم، حيث الرواد قليلون في هذا الوقت المبكر، امضى العروسان معظم الوقت بالتحدث عن معالم مدينة البندقية وعن مشكلتها المستعصية فالمدينة تغوص سنوياً في الماء بعض المليمترات مما سيؤدي الى دمارها خلال بضع مئات من

السنوات.

«من الصعب يا لورا ان اتصوّر العالم من دون البندقية، يجب فعل شيء قبل فوات الاوان».

«لا اعتقد انه من الممكن ايجاد حلّ لهذه المشكلة. المدينة تسير نحو مصيرها المحتوم».

بعد نصف ساعة خرجا من الفندق للتوجه الى قصر السيدة بيل. كان الجو رائعاً والدفء تتخلله نسيمات منعشة. انه الطقس المثالي للتنزه في الليل. فاستغل كثيرون الفرصة وانتشرت الجندولات في المياه تجعل انوارها ليل المدينة براقاً متلألئاً.

كان قائد الجندول ماهراً يجري به فوق الماء بخفة غريبة.

اوصلهما بسرعة الى الرصيف الصغير الخاص بقصر المضيفة. على الدرج المؤدي الى المدخل تعثرت لورا فاحتضنها راندال لئلا تقع في الماء.

مجرد ملامستها جسمه لثانية جعلها ترتعش وترتبك.

كانت تنبعث من القصر الحان الموسيقى الايطالية الحالمة، وتتلألأ فيه اضواء فرحة.

انطوانيت بيل امرأة في الخامسة والثلاثين، كستنائية الشعر، خضراء العينين، ممشوقة القوام فيها كل المقومات الكفيلة بادارة رؤوس الرجال.

لم تجد المرأة حرجاً في معانقة الصديق العزيز بحرارة.

«عزيزي راندال كم انا مسرورة لرؤيتك! اين كنت في المدة الاخيرة؟».

«تعلمين يا انطوانيت مشاكل العمل والزواج...».

قاطعته المرأة:

«ولا ننسى الزواج! اخيراً طلّقت العزوبة بعد ان كنت مصراً على عدم الاقدام على هذه الخطوة».

«اعرّفك بزوجتي لورا».

تفحصت الارملة الاميركية لورا بعينين فضوليتين:

«يا لها من دمية رائعة! احسنت الاختيار يا عزيزي».

«اخترتها طفلة لاحسن تربيتها».

«مسكينة لورا لو عرفتك على حقيقتك لما تزوّجتك».

واضافت المرأة بعد ان كادت رنة ضحكتها تزعزع اركان القصر القديم:

«تفضلا لاعرفكما ببقية الضيوف».

تبعتهما لورا حانقة بعدما احست انها غير ضرورية لراندال بوجود الارملة الطروب. في الغرفة الانيقة حيث تبعثر الضيوف، البعض يرقص، البعض يأكل والبعض الآخر يتحدث، امسكت انطوانيت بيد لورا وقادتها الى مجموعة من الشبان الايطاليين.

توجهت الى احدهم بالقول:

«اعرفك بلورا التي تحب الرقص».

طريقة ذكية للتخلص من الاشخاص غير المرغوب فيهم.

استسلمت لورا لقيادة ذراعي الشاب الوسيم الذي لا يكبرها كثيراً، بينما ابتعد زوجها والارملة الى زاوية اخرى من الغرفة.

«لم تذكر انطوانيت لي اسمك».

اجاب الشاب وفي صوته رنة مرحة:

«ادعى جيان كارلو، ادرس الهندسة المعمارية. فالبندقية تقدم مواضيع عديدة للدرس في هذا المجال نظراً لكثرة القصور التاريخية فيها».

«انت على حق. البندقية مدينة رائعة».

«لكنها لا تزيد روعة عنك».

ضحكت لورا ونظرت في عينيه اللامعتين:

«حذار يا جيان كارلو فأنا ما زلت في شهر العسل».

بدت على وجه الشاب امارات الخيبة والاستغراب.

«انت متزوجة؟ ولكن اين عريسك؟».

اشارت الى راندال المشغول باحاديث مضيفته الفاتنة. في هذه اللحظة التفت راندال صوبها فهربت من نظراته.

«هذا زوجك؟ انا اعرفه...».

فجأة احمرّ وجه الشاب وقطع حديثه كأنه افشى سراً خطيراً.

«تعرفه جيداً لانه صديق قديم لانطوانيت على ما اعتقد».

«نعم».

اجابته المقتضبة تدلّ على انه يعرف عن راندال اكثر من ذلك.

يعرف اشياء لا يجب ان تطلّع عليها لورا.

فيما هما يتنقلان راقصين في الحلبة لمحت لورا زوجها وانطوانيت في موقف عاطفي، اذ كانت المرأة تضع يدها على كتفه ورأسها على صدره. ثم رأت راندال ينحني نحو

خدها... لكنها لم تتمكن من مشاهدة الباقي اذ قادها جيان كارلو بخطواته الرشيقة الى حيث لا يمكنها ان ترى المشهد المثير...

لكن ما رأته كاف لتأكيد ظنونها. العلاقة بين راندال وانطوانيت حميمة جداً. ترى كم علاقة لزوجها من هذا النوع؟ في اي حال لماذا التفكير في هذه الامور ما دامت لا تحبه؟ لكنها تضايقت لتصوّرها زوجها في احضان امرأة اخرى.

تقدم من لورا وجيان كارلو شاب ايطالي آخر استأذن زميله وحلّ محله في الرقص. لنصف ساعة تنقلت لورا في الحلبة من ذراعي شاب الى ذراعي آخر. استمتعت كثيراً بصدهم وتحاشي مغازلتهم، خصوصاً ان ذلك زادها ثقة بجمالها. قادها احد الشبان الى مقعد مريح واحضر لها بعض الفواكه المنعشة. جلست تدردش مع الشاب الظريف الى ان جاء راندال.

ابتسم للشاب واستأذنه:

«اتسمح لي بمراقصة زوجتي؟».

بهت الشاب وانسحب متحسّراً على ضياع جهوده المضنية في مغازلة لورا.

لا احد يراها ويصدق انها متزوجة... وخصوصاً من راندال.

رقص الاثنان بصمت ليستمتعا بعذوبة الموسيقى ورقتها. شعرت لورا بالارتياح لوجودها مع راندال، شعرت بأنها مع رجل حقيقي يعرف كيف يعامل المرأة، لا كأولئك الشبان غير الواثقين من انفسهم، الذين يحاولون بشتى الكلمات المعسولة

انتزاع اعجاب فتاة. راندال ليس بحاجة لهذه الطرق فهو يطرق الموضوع مباشرة دون لف ودوران. هذه الوقاحة تجعله مميزاً عن غيره من الرجال وخصوصاً عن توم الخجول. سألته بشيء من الالحاح:

«الى اي حد عميقة هي علاقتك بانطوانيت؟».

«لماذا تسألين؟».

«مجرد فضول».

«فضول او غيرة؟ ربما لم تحسني اختيار الكلمة».

انتهت الرقصة لحسن حظ لورا دون ان تضطر للاجابة على ملاحظة راندال. تقدما من انطوانيت وقال راندال:

«اتسمحين لنا بالانصراف الآن يا عزيزتي؟ انا مصاب بصداع قوي وبحاجة الى الراحة».

«الخسارة ان تنصرفا باكراً. لكن افعل ما تشاء يا عزيزي راندال فالمهم ان تبقى مرتاحاً».

ودعتهما المرأة كما استقبلتهما بحرارة، طابعةً قبلة طويلة على خدّ الصديق القديم.

حاولت لورا طوال الطريق ان تخرق صمت راندال لتعرف ماذا يدور في خلده. لكنه كان جامداً كالصخر لا يعبّر وجهه عن شيء.

عندما اصبحا في الغرفة سألته:

«أحضر لك قرصاً مهدئاً؟».

«ما الداعي لذلك؟».

«قلت بانك مصاب بالصداع».

«كانت كذبة لأتهرّب من الحفل، الم تدركي ذلك يا ذكية؟».

«ولماذا تتهرّب من حفل مثير، كنت تتمتع فيه كثيراً؟».

نظر اليها بمكر مدركاً قصدها وقال:

«صحيح ان الصحبة هناك ممتعة لكنها لا تساوي شيئاً امام وجودي معك».

اقترب منها واخذ يداعبها بيديه فشعرت بالحرارة تغمرها فطال العناق وطاب...

فيما هما مستلقيان سألته:

«هل كانت انطوانيت حبيبتك في يوم من الايام؟».

«ايزعجك ذلك؟».

«كلا، فنحن اتفقنا على ان نطرح مشاعر قلبينا جانباً ونقصر علاقتنا على الجانب المادي. فلماذا انزعج؟».

اخذت لورا تتحرّى انفعالات وجهه لكنها لم تلحظ تغيراً في ملامحه.

غريبة اطوار هذا الرجل الذي لا ينفعل ابداً.

«انت لا تأبهين لكون انطوانيت حبيبة سابقة اذاً. ولا تحفلين اذا عانقتها كما اعانقك. كاذبة انت وفاشلة في اخفاء اهتماماتك. شعورك بالغيرة يقرأ على جبينك بوضوح فاضح».

«الغيرة؟ انت تضحكني حقاً يا راندال. كيف اغار على رجل لا احبه».

فاشلة حقاً هي لورا في الكذب لانها كانت تدرك وهي تتكلم ان صوتها يخونها ويظهر حقيقة ما تضمر لا ما تقول.

هذه الحقيقة كشفت لها بمرارة انها وقعت في شرك غرامه

بطريقة تجهلها. القاعدة تقول ان الفتاة تعجب بالرجل ويتطور الاعجاب الى حب.

لكن الامر مع راندال مختلف، فالكرة الشديد انقلب حباً لا بل هياماً.

ما اغرب لعبة العواطف فهي لا تمشي على قاعدة ولا تتبع اصولا!

ثم شرعت في محاولة اقناع ذاتها انها لا يمكن ان تغرم براندال، استعرضت في ذهنها كل افعاله القبيحة: تحرّشه بها في الليلة الاولى، ملاحقتها في الحديقة، وقاحته في بيته عندما اقيم الحفل الاول، اقتحامه حياتها العائلية، ابتزاز والدها بشكل سافر واخيراً لا اخراً تحطيم هدية توم. . . مع ذلك فشلت في ايجاد صيغة تكرهه فيها، صحيح انها كانت تمقته في السابق الى درجة تمنت معها احياناً موته، لكن السحر انقلب على الساحر، وصار الكره حباً والبغض هياماً.

السؤال يبقى ما هي حقيقة شعور راندال نحوها؟

امن المعقول ان لا يهتم الا بقطف ثمار جمالها وصباها؟ هو لم يظهر حتى الآن ما يدل على غير ذلك، ولم يتوان عن صفعها مرة لينال مأربه. لا يعقل ان يكون مجرداً من الاحساس وقاسياً الى هذا الحدّ. قطع حبل تفكيرها صوته:

«بماذا تفكرين؟».

«بشيء قاله جيان كارلو».

«ومن جيان كارلو؟ الايطالي الذي كان مهتماً بتقديم الفاكهة لحضرتك ام غيره».

«لا هو الشاب الوسيم الذي راقصني في اول الحفل».

«لا احفل بما قاله جيان كارلو، ما يهمني هو الا تفكري بأي رجل عندما تكونين معي. هل اعيد هذا الكلام من جديد؟».

امسك برأسها وضمه الى صدرها بقوة حتى كاد يسحقه.

حتام تحتمل رجلا لا يعني له الحب شيئاً آخر غير الجانب المادي؟ انه وضع لا يطاق والله وحده يعلم كيف ستخرج منه. . .

مكث العروسان في البندقية اسبوعين، زارا خلالهما كل المعالم السياحية من قصور ومعابد ومتاحف، اعجبت لورا باحد القصور بشكل مميز. كان فيه سحر خاص ونكهة غامضة. وقفت تتأمل الحفر في الجدران واللوحات البديعة.

«اين يشرد خيالك يا حبيبتي؟».

«اتصوّر نفسي اعيش هنا مع فارس احلامي في القرون الوسطى. في تلك الايام كانت الحياة بسيطة سهلة».

في كلامها اشارة واضحة الى توم تجاهلها راندال وسأل:

«ما الذي يجعلك تعتقدين ذلك؟».

«لا ادري ربما يصبو الانسان دائماً الى افضل مما هو فيه».

رأت في نظراته عندها بريقاً شريراً ارعبها فعدلت عن متابعة الكلام. اكتفى راندال بهز رأسه مخبئاً المفاجآت للوقت المناسب.

في تتابع الاحداث وتطور مسار الحياة، صارت لورا تتعلق براندال لا شعورياً. لم تعد تفكر بتوم او بوالديها. اصبح محور اهتمامها الوحيد زوجها. لكنه لم يبد تجاهها ادنى عاطفة بل كان

يعاملها كشيء ثمين يقتنيه ويحافظ عليه. اكتشفت لورا فيه جوانب كثيرة حسنة: لطيف ودمث الاخلاق خارج العلاقة الزوجية، مثقف ومحدث ناجح، كريم بلا حدود يغدق عليها الهدايا لتكون سعيدة. . . كل ذلك بشرط ان تلبي رغباته. في اليوم الاخير تكاسل راندال ولم يرغب في النهوض من السرير.

«علينا ان ننهض لنحضر حاجات السفر».

«افهم من ذلك انك مللت مني يا حلوتي».

«لم اقل شيئاً من هذا النوع لكني لا ارغب في ان تفوتنا طائرة لندن».

«لا تقلقي فسأستأجر لك طائرة خاصة اذا اضطرّنا الامر».

كانت لورا تعلم بأن كلامه جدّي فهو لا يجعل اي عقبة تعترض طريقه.

بعد الظهر ركبا الطائرة وعادا الى لندن لبدء رحلة الحياة الزوجية الحقيقية ولتبدأ لورا رحلتها مع المجهول.

٨- في منزل الزوجية

انطلق راندال بسيارته السوداء الفخمة بعد ان ترك السائق في المطار يتدبر امر عودته، متجهاً الى منزله في حيّ مايفير. اسفت لورا لترك مدينة البندقية المشمسة والفرحة والعودة الى طقس لندن الضبابي الكئيب.

تبدلت صورة راندال منذ ان حطت الطائرة في لندن. عاد ذلك الشخص الغريب المتجاهل وجودها، الشارد في امور اخرى اكثر اهمية ربما. لورا بالنسبة اليه واحة وارفة الظلال يرتاح فيها من عناء العمل. عندما لا يكون محتاجاً اليها يطرحها جانباً ولا يعود يلتفت اليها. تمنّت لو بقيا في البندقية حيث اغدق

عليها حنانه، واهتمامه، وحيث لم يكن يرى في العالم غيرها. المرأة تحب ان تكون محور اهتمام الرجل، هذا جزء من طبيعتها المتطلبة.

ارادت لورا ان تكسر الجليد فقالت:

«لماذا تركت السائق المسكين في المطار؟».

«لا تخافي عليه، سيتدبر امر العودة الى المكتب وسيضيف المصاريف الى راتبه».

«اتعامل مستخدميك كلهم بهذه الطريقة؟».

قطّب جبينه واجاب:

«الموظفون بخدمتي لا انا بخدمتهم. ينفذون اوامري دون نقاش والا فليتركوا العمل. ولا تنسي اني ادفع لهم كي ينفذوا الاوامر».

عندها زلّ لسانها وكشفت امراً كفيلا بوضع ابيها في ازمة:

«لا عجب في تسمية ابي لك...».

اكمل راندال الجملة عنها:

«الحقير مرسييه».

«كنت تعلم انه يدعوك هكذا؟».

«كل ما يحصل في الشركة يصل اليّ يا عزيزتي والا لما تمكنت من السيطرة على الموظفين ولوصلنا الى الخراب».

اكملا طريقهما صامتين وغرقت لورا في تأمل الطبيعة الانكليزية الحزينة المتناقضة مع عظمة البندقية الزاخرة بذكريات المجد الرنانة.

عندما دخلا قلب المدينة بشوارعها المزدحمة بالسيارات والمارة

الراكضين، اللاهثين يفتشون عن لقمة العيش، شعرت لورا بانقباض كبير. احست بالمدينة ضيقة تخنقها، وتمنت لو تستطيع العودة فوراً الى البندقية. ثم اخذت تتخيل رتابة الايام الآتية، الحياة المنزلية اليومية تتكرر دون طعم ولا رائحة. حياة لا يلوّنها الّا شعور مجهول يشدها نحو الرجل الجالس بجانبها. حياة يزيدها مرارة حنين الى حبيب مفقود وقلق على ام مريضة.

اتفق راندال مع والديه على ان يسكن ولورا معهما في المنزل نفسه الى ان يتدبر بيتاً مناسباً له ولعروسه. ولذلك خصصت السيدة مرسييه الطابق الثاني لهما وجهزته تجهيزاً كاملا.

كون لورا اصبحت السيدة الجديدة في المنزل لم يغير شيئاً في ملامح وجه رئيس الخدم عندما استقبلهما ببروده المعتاد. في غرفة الجلوس كان والدا راندال بانتظارهما.

«كم تبدين جميلة بعد شهر العسل يا عزيزتي لورا!».

«شكراً يا سيدة مرسييه».

ثم وجهت لورا كلامها الى والد راندال:

«كيف حالك يا عمي؟».

«في غاية الشوق الى العروسين الرائعين».

كانت السيدة مرسييه تتحرّق لترى لورا هي وراندال جناحهما الخاص في القصر.

«اقترح ان تصعدا الى الطابق الثاني لتتفرجا على عشكما الزوجي».

«انا واثقة من انه سيعجبنا ما دام من ابداع ذوقك الرفيع. الا توافق معي يا راندال؟».

اجاب دون حماس:

«بالطبع. امي خبيرة بفنون الديكور».

دهشت لورا لجمال غرفة النوم. غرفة واسعة، مفروشة بسجاد ازرق، الجدران بيضاء مخططة بخيوط ذهبية، السرير والمقاعد الثلاثة من الطراز الفرنسي القديم. منضدة التزيين لا تقل بهاء عن باقي الاثاث، جلست لورا على كرسيها المغطى بالحرير وتأملت ادوات التجميل المختلفة الموضوعة عليها.

«اشعر وكأننا في غرفة احد ملوك القرن السابع عشر».

لم يعلّق راندال بل رمى سترته على السرير ودخل الى الحمام المتصل بالغرفة. سمعت لورا صوت المياه تجري على جسمه القوي وتمنيت بقاءه أطول وقت ممكن بعيداً عنها. بعد قليل خرج اكثر انتعاشاً بدليل الابتسامة المرسومة على شفتيه.

تناول زجاجة عطر فرنسي وقال:

«ضعي قليلا من هذا العطر».

انصاعت لورا لأمره. فاقترب منها واستنشق العبير الطيب.

«يا لها من رائحة ناعمة تناسب اميرتي الصغيرة».

«اتعتقد انها تناسب انطوانيت بيل؟».

«ما الذي ذكّرك بها؟».

لم تفصح له بالطبع ان الغيرة ذكرتها بالارملة الاميركية فأجابت:

«اتخيّل انطوانيت تضع عطوراً اقوى من هذا».

«لا عجب في ذلك لانها امرأة معقدة. والانسان المعقد لا يحب العطور البسيطة الناعمة».

«لماذا تعتبرها معقدة؟».

«لانني لا احب المرأة التي تدّعي الوجاهة، والتي تعتقد ان غناها يجعلها افضل من الآخرين».

اكتشفت لورا ان فيه صفات تجهلها فقالت له بشيء من الاستغراب:

«اتعني انك انسان متواضع؟».

«انا انسان واقعي افخر بحسناتي واعترف بسيئاتي».

«وما هي سيئاتك؟».

رمقها بنظرة متعالية لا تمت الى التواضع بصلة وقال:

«سيئاتي لا تعتبر شيئاً امام حسناتي، اليس كذلك؟».

وافقت لورا بسخرية:

«بالطبع، ثم اضافت، وما رأيك بي؟».

«اعتبر اني احسنت الاختيار. - وأردف بعدما نظر الى ساعته- بدّلي ملابسك بسرعة فوالدي دقيق في المحافظة على موعد العشاء».

اختارت لورا ثوباً بسيطاً واتجهت الى الحمام لأنها تشعر بالحرج اذا بدّلت ملابسها امامه. اوقفها راندال بغضب:

«الى اين ذاهبة؟».

«اريد ان اغتسل قبل النزول».

«حجة واهية. لم ار في حياتي امرأة تخجل من تبديل ملابسها امام زوجها».

تجاهلت كلماته وفرّت من نظراته القاسية. عندما خرجت وقف راندال يتأملها:

«رائعة حقاً!».

اختارت لورا فستاناً محتشماً يجعلها تبدو صغيرة في السن. واحاطت عنقها بعقد من اللؤلؤ يناسب تماماً لون الفستان.

«تبدين خارجة لتوك من المدرسة».

«الا تعجبك ملابسي؟».

انصرفت لورا الى تصفيف شعرها دون ان تنتظر جواباً لن يأتي، وتعمدت اطالة الوقت لتؤخر قدر استطاعتها النزول الى العشاء. فهي خجولة جداً ووجود راندال ووالدته في آن واحد مؤثر عليها جداً لما يبديانه من ملاحظات دقيقة ويقولانه من كلمات جارحة.

كان شهر العسل فترة بديعة مختلفة، اما الآن وقد عادت الى الحقيقة فقد وجدت انه من الصعوبة بمكان تحمّل حياتها الزوجية.

«قبل ان ننزل اريد القاء نظرة على باقي الجناح».

«حسناً ولكن بسرعة لئلا ينفد صبر والديّ».

اكثر ما اعجب لورا في الطابق الواسع المطبخ الصغير المجهز بأحدث اللوازم والمطلية جدرانه بالوان فرحة ومبهجة. سرّت كثيراً بهذا المطبخ لانها ستتمكن فيه من ممارسة هواية الطهي ولا تبقى عاطلة عن العمل كباقي النساء الثريات. يبدو من التجهيز الممتاز لهذه الشقة ان راندال يخطط للبقاء بصورة دائمة في منزل والديه. هذه الفكرة لم ترق للورا كثيراً لانها تفضل الاستقلال في منزل تكون سيدته ومدبرة شؤونه. فالسيدة مرسييه لن تسمح لاحد غيرها بالقيام بهذه المهمة ما دامت

موجودة. هذا لا يعني ان لورا لا تحب والدي راندال، لكن اي عروسين يفضلان ان يتمتعا بمنزل خاص يبنيان فيه حياتهما العائلية.

كان الزوجان مرسييه بانتظارهما على الطاولة. قال الاب وعيناه على الساعة الكبيرة المعلقة على الحائط:

«نزلتما في الموعد المحدد».

كانت السيدة مرسييه تجلس على كرسي بعجلات تراقب لورا بعينين فاحصتين.

«ما رأي لورا بالشقة؟».

اجابتها العروس بخجل:

«لا ادري كيف اعبّر عن اعجابي وامتناني لك يا سيدة مرسييه. الكلمات لا تكفي لاشكرك».

«لم افعل سوى الواجب يا ابنتي. ولا تعتقدي انني جهزت لك مطبخاً مستقلاً لتنفصلي عنا، على العكس فنحن نريدكما بقربنا دائماً. لكن لربما احببت ان تعدي اكلة معينة او شعرت بحاجة الى الانفراد قليلاً...».

«لا اعرف كيف اردّ لك الجميل يا سيدتي».

تدخل الاب مؤكداً:

«مجرد كون ولدنا سعيداً الى جانب زوجته يكفينا يا عزيزتي لورا».

اضافت والدة راندال وكأنها تطمئن لورا:

«لا بد ان راندال سيتأخر في كثير من الليالي ليعود الى المنزل، فلا اريدك ان تشعري بأي حرج وتبقي نفسك سجينة الوحدة،

بل انزلي الينا فنحن نسر كثيراً بصحبتك».
رمق راندال والدته بنظرة حادة وقال:
«لا تبدأي بالكلام وكأنني هجرت زوجتي يا اماه. فنحن لم نكد نرجع من شهر العسل».
«ما اقصده يا ابني هو ان عملك يشغلك كثيراً. كمْ مرة نسيت ان تأتي لتناول العشاء؟».
لم ترتح لورا لهذا الحديث الجاف بين راندال ووالدته. زوجها يبدو في الحقيقة متوتراً جداً الليلة. لكنها لا تعلم سبب هذا التوتر. هل سئم من الزواج؟
هل اكتفى من لورا ليفتش عن غيرها؟ سؤالان لا بدّ ان تعرف الجواب عليهما قريباً. تناول الاربعة العشاء بصمت. لم تأكل لورا كثيراً لان فكرها كان شارداً في امور اخرى. لاحظ راندال ذلك، فسأل:
«الست جائعة؟».
تولت السيدة مرسييه عملية الاجابة:
«دعها وشأنها يا راندال فهي لا بدّ مرتبكة بعض الشيء لوجودها في محيط جديد. نحن... غرباء بالنسبة اليها». ثم ابتسمت ونظرت الى لورا- لا تهتمي لما يقوله راندال يا عزيزتي. اذا لم تكوني جائعة فلا ترغمي نفسك على الاكل بل افعلي ما يحلو لك».
بعد قليل جلب رئيس الخدم بعض الحلويات. تلذذت لورا بطعم الكعكة اللذيذة المنعشة.
وكعادته لا يترك راندال مناسبة للتعليق وابداء الملاحظات

JOHN LEE

تفلت منه.
«ارى لورا تحب اكل المرضى. فهذه الكعكة تصلح لتقدم في مستشفى».
لكن السيدة مرسييه نصبت نفسها حارس لورا الامين في هذه المواقف، نظرت الى ابنها وقالت بلهجة آمرة:
«تابع تناول طعامك واصمت».
لم ينتقل السيد مرسييه معهم الى غرفة الجلوس لتناول القهوة بل انسحب الى غرفته وتطوّعت زوجته بمرافقته. احست لورا، بالارتياح والدفء في مقعدها الوثير. صب راندال القهوة التي احضرها رئيس الخدم وقدم فنجاناً الى زوجته. بعد ان جلس وفنجانه في يده، سأل لورا:
«ماذا ستفعلين غداً بعد ان اذهب الى العمل؟».
«انوي زيارة والدتي».
«وسيصدف وجود الطبيب توم بالطبع. تذكري انك امرأة متزوجة وعليك ان تحترمي قواعد معينة».
«الامر نفسه ينطبق على الرجال المتزوجين».
في هذه اللحظة فتح رئيس الخدم الباب يجر السيدة مرسييه في مقعدها فاضطر الزوجان الى قطع المشادة الكلامية.
قدم راندال القهوة لامه بعد ان قبّل يدها.
«لماذا هذه القبلة؟».
«تعبيراً عن شكرنا للعناية التي احطتنا بها».
«انا مسرورة جداً لان الجناح اعجبكما. لكن هذا لا يعني انكما باقيان هنا، يجب ان تبحثا عن منزل خاص. انا ووالدك

نتمنى بقاءكما معنا، لكن هذا لا يجوز. المنزل المستقل ضروري لتبنيا حياتكما العائلية».

قال راندال ضاحكاً:

«لا تستعجلي الامور كثيراً يا امي!».

«اراهن على ان لورا فهمتني اكثر منك يا راندال. وجودكما هنا ضروري الآن لتعتاد لورا على الحياة الزوجية، لكن بعد ذلك عليكما الاستقلال في حياتكما».

«نحن نفهم ذلك يا امي».

تابعت السيدة مرسييه حديثها:

«اريد منك يا لورا ان تفعلي ما يطيب لك في البيت. نحن بحاجة الى بعض الحياة لان الرتابة والهدوء مزعجان».

«اذن اسمحي بان احضر العشاء بنفسي غداً».

«اتعنين انك تجيدين الطهي يا عزيزتي؟».

تكفّل راندال بالاجابة:

«لورا طاهية ماهرة يا امي».

علقت لورا بخجل:

«لا تعظم الامور يا راندال. مرض امي اجبرني على تعلم الطهي، لكني طاهية عادية جداً».

بقي الثلاثة بعض الوقت في غرفة الجلوس يتحدثون عن مدينة البندقية، ويتفرجون على الصور التي التقطها راندال هناك. اظهرت السيدة مرسييه الحنين الى تلك المدينة الساحرة التي زارتها مرة في صباها. بعد نصف ساعة نظر راندال الى ساعته وقال:

«عليّ ان آوي الى الفراش باكراً الليلة لان جبالا من الاوراق تنتظرني غداً في المكتب».

صعد لورا وراندال الى جناحهما. في الغرفة تثاءبت لورا تعبة من عناء السفر.

لم يرق ذلك لراندال الذي قال:

«اتلمحين الى انك تريدين النوم مباشرة؟».

لم تجب لورا بل خرجت الى المطبخ لتحضر بعض الماء. عندما عادت وجدت الانوار مطفأة وراندال ممدداً في السرير. تمددت بجانبه وهي تتساءل لماذا غيّر رأيه بهذه السرعة؟ اخذت تتأمله وتحاول اقناع نفسها ان هذا الرجل سيشاركها حياتها الى الابد. مرت في ذهنها صورة توم وصورة امها فراحت تتخيّل السعادة التي كانت حظيت بها لو تزوجت من توم.

ثم غمرها شعور بالذنب لانها تركت امها المريضة. صحيح ان السيدة غرانت مدبرة المنزل الجديدة، وهي صديقة للسيدة نايت، امرأة يمكن الاتكال عليها. لكن هذا لا يكفي لاخماد قلق لورا.

لم تتمكن من النوم بسبب الافكار التي تشغل بالها. نظرت الى ساعتها ففوجئت بأن الوقت قد مرّ بسرعة. الساعة اصبحت الرابعة صباحاً دون ان يغمض لها جفن. وبينما هي تتقلب في الفراش لمحت عيني راندال تحدقان فيها.

«آسفة اذا ايقظتك».

«عليك ان تتحملي نتائج عملك...».

افاقت لورا في العاشرة لتجد ان راندال ليس بقربها. فجأة

تذكرت قسوته في الليلة السابقة وخافت ان يظلّ على هذا المنوال طوال حياتها.

بعد تناولها طعام الفطور وافت لورا السيدة مرسييه في غرفة الجلوس.

«صباح الخير يا سيدة مرسييه، اعتذر لأني اطلت النوم».

«ولماذا الاعتذار؟ انت حرّة في بيتك».

«متى ذهب راندال؟».

«كالعادة يكون في مكتبه حوالى الساعة التاسعة».

«اريد ان اعتذر اذ لن اتمكن من تناول طعام الغداء هنا اليوم. سأقوم بزيارة والدتي».

«ارجو ان تجدي والدتك بأتم الصحة. ستأخذين السيارة اليس كذلك يا عزيزتي؟».

«انا لا اجيد القيادة».

«عليك تعلم القيادة يوماً ما. لكن لا عليك سآمر السائق بايصالك».

اوصلها السائق الى البيت بعد ان اوصته بالمرور لاخذها في الرابعة بعد الظهر.

وجدت لورا امها فرحة ومرتاحة. قبّلتها بحرارة وقالت:

«يبدو ان السيدة غرانت تعتني بك جيداً لاني اراك في احسن حال».

«السيدة غرانت امرأة ممتازة يا ابنتي لا اشعر معها بأي نقص».

«سأتناول الغداء هنا. هل من مانع؟».

ضحكت السيدة هالام وعلقت:

«ابنتي تطلب الاذن لتأكل في بيتها!».

جلست لورا تخبر امها عن رحلة شهر العسل وعن مدينة البندقية متحاشية الخوض في تفاصيل علاقتها براندال. مضى الوقت بسرعة الى ان حان وقت الغداء. اعدت السيدة غرانت طعاماً شهياً. كما تبيّن للورا ان والدتها والمرأة متفاهمتان تماماً فخفّ قلقها واطمأن بالها.

بعد الغداء انتقلا الى مكان لورا المفضل في البيت، غرفة الجلوس، حيث كانت تفوح رائحة الياسمين الذكية.

«من وضع هذه الباقة الجميلة هنا يا امي».

«السيدة غرانت ذواقة في التزيين يا ابنتي».

«اراحني وجود هذه المرأة الى جانبك فانت تعلمين مدى اقلقي عليك».

«السيدة غرانت والسيدة نايت تفيان بالغرض تماماً».

وفجأة غيّرت السيدة هالام الحديث اذ سألت ابنتها:

«هل انت سعيدة؟».

كانت المرأة تعلم ان ابنتها ما تزال تحب توم لكنها تزوجت من راندال لان ذلك انسب لها ولعائلتها. اليس الزواج المبني على العقل افضل واثبت من الزواج المبني على القلب؟ هذا لا يعني ان ابنتها لا تظهر ايّ شعور نحو زوجها، فهي لم تكف عن ذكر اسمه طوال الحديث عن شهر العسل:

قال راندال، ذهب راندال، احضر راندال... السيدة هالام واثقة من ان حياة ابنتها الزوجية تسير في الخط الصحيح

على الرغم من علاقتها بتوم... لكن لورا لا تشاطرها رأيها. ففي قرارة نفسها خوف كبير من ان يتحوّل راندال الى وحش نهم كما كان في الليلة السابقة.

٩- الاعتراف المتأخر

اقتربت الساعة من الرابعة. تمنّت لورا لو كان باستطاعتها البقاء في منزل ذويها حيث تشعر بالامان الذي لا يستطيع توفيره ترف قصر آل مرسييه.

لورا تنتمي الى هذا المنزل البسيط. لها ذكريات في كل قطعة اثاث فيه، في كل زاوية، خلف كل حجر.

وراندال رجل غريب، اخرجها من احضان الامان والقى بها في دائرة الخطر. رماها في تيار جارف لا تعلم الى اين سيودي بها.

ارتعدت عندما سمعت رنين الجرس، كأن السائق جلّاد

يسوقها الى مصير اسود.

فتحت السيدة غرانت الباب لتوم الذي بادر لورا بالقول:

«مرحباً ايتها الغريبة. متى عدت من البندقية؟».

وراء نبرته الهازئة رأت عاصفة من الانفعالات تتجمع، لكن توم يعرف كيف يحتفظ بمشاعره لنفسه ويبقيها دفينة في قلبه.

لم تدر لورا ماذا تقول له فتمتمت:

«اهلا يا توم هل رأيت البطاقة التي ارسلتها لاهلي؟».

«رأيتها، لكني كنت اتوقع بطاقة لي».

بالفعل، اشترت لورا بطاقة لترسلها الى توم لكن عيني راندال الفضوليتين لم تتركا لها فرصة الكتابة. ابلغها في بادىء الامر انه لا يهتم لقلبها بل لجمالها فقط، لكنه بعد ذلك اخذ يتصرف برغبة في امتلاكها لا بل احتكارها. ايشعر بالغيرة عليها؟ لكنه لا يحبها فلماذا يفعل، خصوصاً بعدما أظهره من قسوة تجاهها بالامس.

«وجدت امك بصحة جيدة، اليس كذلك يا لورا؟ السيدة غرانت تعتني بها احسن عناية».

حتى هنا في بيتها لم يعد وجود لورا ضرورياً. السيدة غرانت حلت محلها بكل جدارة.

«انا لا انسى دورك بالطبع يا توم».

بعد ان عاين السيدة هالام وعاد الى غرفة الجلوس قال الطبيب الشاب:

«أكل شيء يسير على ما يرام؟».

«بالطبع».

«حسناً. عليّ ان اذهب الآن، هلا رافقتني الى الباب- واضاف بعد ان لاحظ اضطرابها وشرودها- انا واثق من انك تخبئين شيئاً يضايقك».

كادت لورا تنفجر بالبكاء وتصرّح لتوم بكل شيء لكنها اكتفت بوضع رأسها على كتفه فضمها بحنان.

«عزيزتي لورا لا تبكي».

مسحت دموعها وهي تمتم:

«آسفة..».

في هذه اللحظة قرع الجرس فارتعد الاثنان. توجه توم الى الباب في حين حاولت لورا لملمة نفسها واخفاء توترها.

فتح الباب فتراجع توم دون ان ينبس ببنت شفة. عندها عرفت لورا من الآتي.

وقف راندال جامداً كالصخر، الاّ شفته السفلى فقد كانت ترتجف غضباً. انسحب توم بهدوء واقفل الباب وراءه.

«انزلي الى السيارة».

لم تجرؤ لورا على مخالفة الامر الصارم فاتجهت الى السيارة بخطوات غير واثقة يتبعها راندال صامتاً.

ادار المحرك وانطلق في شوارع المدينة التي بدأت تغرق في الغسق.

لم تعد لورا تحتمل السكوت القاتل فقالت بعدما وضعت كل ما لديها من قوة ارادة في كلماتها:

«عدت من عملك باكراً اليوم».

كأن راندال كان ينتظر اشارة ليصبّ جام غضبه عليها:

«نعم عدت باكراً لاني احببت ان نخرج سوياً هذا المساء. لم اجدك في البيت فجئت الى هنا كي اصطحبك».

«ابلغتك بأنني سأقوم بزيارة والدتي».

امتزج الغضب بالسخرية في كلمات راندال:

«بالطبع قمت بزيارة والدتك فصادف وجود الطبيب المحبوب الذي لم يتوان عن معانقتك!».

«لم يعانقني!».

«يا للكذب! رأيتكما من زجاج الباب. يا له من حقير وقح! لا بد ان مجيئي قطع عليكما الانسجام، اليس كذلك؟».

لم تعد لورا تفهمه. منذ ساعات كان في الفراش انساناً انانياً، غير عابىء بمشاعرها، لا يريد الا تحقيق مآربه. اما الآن فصار يشتعل بنار الغيرة. لا شك انه مصاب بانفصام في الشخصية.

«انت... انت قلت انك لا تحفل بحبي لتوم ما دمت تمتلكني».

ضغط راندال على دواسة البنزين فأخذت السيارة تنهب الارض نهباً وتتخطى كل ما امامها بسرعة جنونية. اغمضت لورا عينيها وتسمرت في مكانها لا تجرؤ على الكلام. فجأة ضغط على المكابح فقذفت لورا حتى كاد رأسها يصطدم بالزجاج الامامي. فتحت عينيها لتجد نفسها امام قصر آل مرسيه. يعلم الله كيف وصلا سالمين...

حدق راندال فيها والشرر يتطاير من عينيه:

«عليك ان تفهمي انني اشتريتك كاملة. اشتريت زوجة كاملة. لا اريد ان اغادر الى عملي في الصباح واتخيّلك بصحبته خلال غيابي. - اطبق بيديه القاسيتين على معصمها الناعم وشدّ حتى صرخت من الالم، واضاف: هل كلامي واضح؟ لن تقابلي هذا الرجل بعد اليوم والى الابد».

تمكنت لورا بقوة الارادة من تمضية السهرة دون ان تنهار. تناولت العشاء مع العائلة. جلست تتحدث الى السيدة مرسيه، لعبت الشطرنج مع مرسيه الاب، واخيراً شاهدت فيلماً على التلفزيون لم ينته قبل منتصف الليل.

على الرغم من تعبها الشديد لم تصعد الى الغرفة لأن وجودها مع راندال، بعد الذي حدث، يسبب لها رعباً وهلعاً فظيعين. جلست وحدها تحدّق في الشاشة المنطفئة وكأنها تشاهد صور حياتها تمرّ رمادية.

التفتت لتجد راندال واقفاً يراقبها كالشبح. اقترب منها وارغمها على النهوض.

«هيّا الى السرير».

تبعته كالطفل المطيع مطأطأة الرأس، مهيضة الجناح.

بقيت تحت الماء في الحمام اكثر من نصف ساعة ترتجف كلما راودتها فكرة الدخول الى الغرفة.

«تعالي الى السرير».

امر جديد وتنفيذ جديد.

تمددت لورا في السرير وعيناه المليئتان بما اعتبرته حقداً تذرع

كل ذرّة من جسمها بالحاح.

بدأت بالارتجاف عندما اطفأ النور اذ مرت في مخيلتها صور الليلة الماضية.

«كفي عن الارتجاف كالارنب . . . واخلدي الى النوم».

احست عندها بجبال من الصخر تنزاح عن صدرها. دفنت وجهها في الوسادة وبكت بصمت وحرارة.

في الصباح اقترحت السيدة مرسييه ان تعد لورا أكلة لزوجها في مطبخها الخاص.

«اعرف يا حبيبتي لورا انك تريدين ان تجرّبي ادوات المطبخ».

شكرتها لورا وتوجهت الى السوق لشراء الحاجيات اللازمة. وعند الظهر عادت لتناول الغداء مع العائلة. وامضت فترة بعد الظهر بتحضير العشاء لراندال. وهكذا مرّ النهار هادئاً تمتعت فيه بوحدة لم تنعم بها منذ اسابيع.

في السادسة رنّ جرس الهاتف في غرفة الجلوس في شقتها. رفعت السماعة لتسمع صوت راندال.

«لن احضر الليلة الى العشاء لاني مرتبط بموعد هام. وهذا الامر يفرحك بالطبع».

لم تجب لورا فاكمل زوجها:

«بلّغي والدتي اني سأتناول العشاء مع تاجر اميركي كبير».

«حسناً».

«ماذا فعلت اليوم؟».

«ذهبت للتسوّق فقط. وكن مطمئناً فانا لم ار توم».

اقفل الخط من دون ان يزيد كلمة.

عادت لورا الى المطبخ لتضع كل ما اعدته من طعام في الثلاجة. بعد ذلك نزلت لتبلغ السيدة مرسييه عدم حضور راندال الى العشاء.

بدت الخيبة على وجه الوالدة، اذ قالت:

«راندال يجهد كثيراً في عمله. في ايّ حال ستكونين من نصيبنا الليلة فأرجو الا تملي كثيراً».

«اني واثقة من تمضية سهرة ممتعة».

«بالله عليك اخسري امام ايف بالشطرنج لانه لا يحتمل ان يتغلب عليه احد. لكن راندال لا يأبه بشعور رجل عجوز فينتصر عليه دائماً».

في الحادية عشرة صعدت لورا الى شقتها وراندال لم يعد بعد. تمددت في سريرها تقرأ الى ان وصل زوجها.

بادرها بالقول ساخراً:

«لماذا لم تستغلي فرصة غيابي وتستسلمي للنوم؟».

وضعت الكتاب على الطاولة وشدّت الغطاء لتنام. بعد قليل حذا حذوها، وشعرت لورا بان جداراً سميكاً يفصل بينهما. صار انساناً غريباً بعيداً، يمقتها.

مرّت الايام على المنوال ذاته. اعمال منزلية في الصباح، تحضير طعام بعد الظهر، سهرة في غرفة الجلوس. في غرفة النوم لم يعد راندال يحاول ان يلمسها. كانا غريبين يتقاسمان غرفة نوم وسريراً.

بعض الاحيان لم تكن تراه النهار بكامله. يذهب صباحاً قبل

ان تفيق ويعود مساء بعد ان تنام. الشيء الوحيد الذي يدلّ على وجوده اثر جسمه في السرير وشعرتان سوداوان تائهتان على وسادته.

قللت لورا من زياراتها لوالدتها حريصة في كل مرة على المغامرة قبل وصول توم. لا تعلم ماذا يدفعها لتنفيذ امر راندال بهذا الصدد. في الاسبوع السادس لوجودها في البيت الزوجي ايقنت انها حامل. سيزيد الحمل الامور تعقيداً. ستحمل ولداً من شخص غريب لا يمكن ان يكون اباً صالحاً. كيف ستتمكن من بناء عائلة حقيقية دون مساعدة زوجها؟

قررت الا تخبره بالامر لانها لا تريد معرفة ردة فعله. شعرت بحاجة لمن تفضي اليه بهمومها، فكل انسان يرتاح اذا شاطره مشاكله احد. هذا الشخص لن يكون امها بالطبع، ولا السيدة مرسييه التي لن تقف بجانبها ضدّ ولدها. لن يفهمها احد الا توم. لكنها تخاف ان تقابله ويعلم راندال بالامر. ربما قتلها ان فعلت ذلك.

في بداية شهر ايار صار الطقس خانقاً واحتبس الهواء.

شعرت لورا في صباح يوم حار انها مريضة فبقيت في الفراش ولم تكن تعلم ان ذلك من اعراض الحمل الطبيعية.

عليها ان تستشير طبيباً ليطمئنها. حارت بين الذهاب الى طبيبها الخاص او الى توم. تجاذبتها رغبة جارفة بين مقابلته والتحدث اليه وبين الولاء لزوجها ولارادته.

بعد الظهر من اليوم نفسه استقلت سيارة تاكسي واتجهت الى منزل والديها.

بينما كانت تهم بالذهاب دخل توم ففوجىء لرؤيتها.

«لورا ما هذه الغيبة الطويلة؟».

«انت على حق فانا لم ارك منذ اسابيع. مشاغلك جمّة وحياتي الزوجية لها متطلبات كثيرة».

لاحظت على وجهه حزناً عميقاً فسألته:

«ما بك حزيناً؟».

«الم تعلمي بوفاة امي؟».

«ماذا تقول؟».

تدخلت امها التي دخلت غرفة الجلوس:

«نسيت ان اطلعك على ذلك الاسبوع الماضي يا لورا».

«انا آسفة حقاً يا توم».

«لا بأس فكلنا على هذه الخطى سائرون».

«وكيف حال والدك؟».

«صدم بعض الشيء لذلك ذهب ليرتاح عند عمتي، وهو يفكّر جدياً بالتقاعد الآن. يا ليته تقاعد قبل وفاة امي فهي كانت تطالبه بذلك منذ سنوات. لو فعل لكانا تمتعاً بحياتهما بعض الشيء».

«لن اقلق عليك لاني اعرفك قوياً في تخطي الصعاب».

مكثت لورا عشر دقائق اخرى تتحدث الى توم عن حياته العائلية والمهنية ثم استعدت للرحيل فسألها:

«هل سيمرّ زوجك لاخذك؟».

«لا سأعود بالتاكسي».

«ما رأيك اذا اوصلتك الى البيت فانا حرّ من ايّ ارتباط هذا

المساء؟».

ترددت لورا قبل ان توافق خصوصاً انها لاحظت ان امها غير مرتاحة للأمر.

في السيارة نظر اليها توم وقال بصوت مرتجف:

«تبدين تعبة جداً يا لورا. قلقي يتزايد عليك يوماً بعد يوم. صارحيني بما يشغل بالك».

لم تجب لورا فأكمل:

«متى يجب ان تكوني في البيت الليلة؟».

«لست على عجلة من امري لان راندال مدعو الى العشاء مع بعض رجال الاعمال».

«ما رأيك اذن بتناول العشاء في مطعم جميل على ضفة نهر التايمز؟».

اتقدم على هذه الخطوة وهي بأمس الحاجة اليه؟ ام تبقى وفية لارادة زوجها؟

بعد تردد وتفكير عميق اجابت:

«حسناً، توقف عند اول كشك للهاتف لاتصل بالمنزل».

لم تطل لورا الحديث مع السيدة مرسييه التي استغربت تناولها العشاء خارجاً مع «صديقتها».

جلسا في المطعم الصغير الهادىء قرب نافذة تطلّ على نهر التايمز. على طول الضفة تنتشر اضواء صفراء تختلط انوارها مع ضباب رقيق. من بعيد بدت اشباح ابنية وسط لندن التجاري تناطح السحاب، وبرزت قبة ساعة بيغ بن الشهيرة منطلق التوقيت في العالم. جوّ شاعري اضفى على لقاء لورا وتوم عاطفة

الى عاطفة وحناناً الى حنان.

وضع توم يده على يدها وقال بشبه توسل:

«اعرف يا عزيزتي انك تعانين من مشكلة صعبة. صارحيني بما في قلبك ولا تغفلي ذكر اي شيء».

بدأت لورا بالكلام وشفتاها ترتجفان وعيناها تهربان من الحقيقة الى البعيد.

«اختلطت الامور عليّ بشكل لا اعلم معه من اين ابدأ...».

«ابدأي من اول القصة يا عزيزتي».

اطلعته لورا على كل شيء: على لقائها الاول براندال، مطاردته لها، فضيحة الاختلاس التي كان بطلها والدها والتي ذهبت في ضحيتها.

«عملية الزواج كانت ابتزازاً اذن».

«نعم».

«يا له من حقيرا اكملي يا لورا فالقصة لم تنته بعد».

اخبرته عن احداث شهر العسل متحاشية الدخول في التفاصيل الحميمة مكتفية بالخطوط العريضة الكفيلة بافهامه قصدها.

انهت قصتها قائلة:

«اصبحنا الآن غريبين لا زوجين، بعد ان ملّني وندم لزواجه مني. كان من الافضل لي ان اكون حبيبة له لا زوجة».

ازداد وجه توم شحوباً وقال بعزم وثقة:

«لا يجب ان تهدري عمرك مع هذا الانسان الخسيس.

اطلبي الطلاق دون تردد. عندما قررت الزواج منه ظننت انك ستعيشين حياة سعيدة مترفة، لكنك وقعت في شرك مميت. والطريقة الوحيدة الكفيلة بتخليصك هي الطلاق. لا فائدة من محاولة انقاذ زواج فاشل منذ البداية. حريتك هي الهدف، اعملي على تحقيقه».

«لا استطيع طلب الطلاق لاني انتظر طفلا».

«هل تأكدت من ذلك؟».

اخبرته عن الاعراض التي تعرضت لها حتى الآن بالتفصيل، لكن توم لا يستطيع ان يجزم انها حامل.

«عليك ان تستشيري طبيباً يا لورا فأنا لا اقدر ان اعطيك جواباً دون اجراء فحص. كما ان حملك لن يكون سهلا نظراً لضعف بنيتك ولحالتك النفسية، فقد يعطيك الطبيب مقويات تساعد على انجاح الحمل».

اطرقت تفكر ثم قالت:

«توم. . . ما رأيك ان تكون طبيبي، فانا لن ارتاح الى احد غيرك؟».

اجاب بخشونة غير متوقعة وبعينين حائرتين:

«لا! غير ممكن».

«لكني بحاجة اليك! بحاجة الى شخص اثق فيه واطمئن اليه».

«لا تدمي قلبي يا لورا! انت تعلمين اني غير قادر على تلبية طلبك».

«لا حق لراندال بالاعتراض على طبيب اختاره! لن يرغمني

على العلاج عند احد غيرك».

كاد الغضب يعمي عينيها فلم تخف من المتابعة:

«ثم انه لن يشك بالخيانة وانا حامل!».

«الخيانة؟».

«نعم الخيانة. راندال يظنني حبيبتك ولذلك ارغمني على التعهد بعدم رؤيتك ابداً».

«اشياء كثيرة تحدث لا افهمها ثم تتوضح تلقائياً. ادرك الآن مثلا لماذا تحاشيتني في المدة الاخيرة».

«آسفة لضعفي يا توم. لكني سأواجهه هذه المرة وساصرّ على ان تكون طبيبي».

«الامر ليس وارداً بالنسبة اليّ».

سألته متوسلة:

«ولكن لماذا؟».

لم يجب بل اشار اليها بالنهوض واتجه الى الباب بعد ان سدد الفاتورة بسرعة. لم يتكلم توم طوال الطريق ولم تجرؤ لورا على اخذ المبادرة لانها وجدته قلقاً لا يحتمل اية كلمة.

عندما اوقف السيارة امام قصر آل مرسييه نظر توم الى البناء الفخم وقال:

«هذا هو الكوخ الذي تعيشين فيه الآن اذاً. يا لسخرية القدر! الناس الذين اعيش معهم يومياً في الحيّ الشرقي يكادون لا يجدون زاوية ينامون فيها. . .».

لم تكن لورا ترغب في هذه اللحظات بمناقشة الاوضاع الاجتماعية في انكلترا، فعادت الى الموضوع الحساس:

«قل لي بصراحة لماذا ترفض الاعتناء بي وبطفلي».

تنهد توم ونظر اليها كأنه سيعترف بما يجب بقاؤه سراً:

«لانني لن اكون هنا».

«ماذا تعني؟».

«سأغادر البلاد قريباً لاعمل في الخارج».

اصيبت لورا بذهول كبير ولم تصدق ما سمعته اذناها.

«ماذا تقول؟ الى اين ستسافر؟».

«صحيح ان وجودي في الحيّ الشرقي مفيد لكنه ليس حيوياً، فالبديل متوافر بسهولة. اما حيث سأذهب فالاطباء مطلوبون كالعملة النادرة. الفقراء في الهند بحاجة اليّ».

«الهند؟ لا شك انك تهذي».

«لا يا لورا فأنا احلم منذ زمن بعيد بالذهاب الى تلك البلاد».

تمالكت نفسها وسألت على امل ان تسمع جواباً يرضيها:

«كم ستبقى هناك؟».

«لا افكر بالعودة الى انكلترا. سأتنقل بين دول العالم الثالث حسب ما تطلبه مني منظمة الصحة العالمية التي تعاقدت للعمل معها».

نظرت اليه مذعورة، رافضة تصديق كلامه وصرخت بأعلى صوتها:

«مستحيل!».

اقترب منها توم وقبل يدها ثم همس:

«احبك يا لورا احبك. وسأظل وفياً لحبي. لكني اقتنعت

بانه يجب علينا الا نتزوج. مهنتي، رسالتي، طموحاتي كلها تتعارض مع طباعك. الحياة القاسية التي اخترتها لنفسي لا تناسب زوجة رقيقة مدللة. لورا، قررت الا اتزوج مطلقاً لئلا اكون السبب في تعاسة امرأة. تعذبت كثيراً قبل ان اتخذ القرار، احترت بين حبك ومهنتي. لكني في النهاية وجدت انك قادرة على العيش بدوني، اما اولئك الفقراء البائسون فلن يلتفت اليهم احد اذا خذلتهم. وهكذا اتخذت اخيراً القرار الصعب والصحيح».

«لو تدري كم عذبتني يا توم! حاولت ان ادرك حقيقة شعورك نحوي لكني فشلت. لم اكن اعرف اهو حب ام صداقة...».

«اتظنين اني كنت اجهل ذلك. همسة من عينيك كانت تكفي لاشتعل حباً. كنت ابذل جهوداً جبارة لاتمالك نفسي واصدك».

ضحك توم بمرارة واضاف:

«عندما تزوجت مرسييه اعتقدت ان عذابي انتهى واني سلمتك الى يدين امينتين. دفنت غيرتي لئلا افسد سعادتك. لست انانياً لاحرمك من كل ما يستطيع مرسييه تأمينه لك، الثراء، الامان، الحب...».

لم تقو لورا على تحمّل صدمة اعتراف توم فتأوهت وسقطت على ركبتيها مغمىً عليها.

حملها توم مسرعاً واتجه بها نحو البيت. لم ير نوراً في الداخل فوضع لورا على مقعد في الحديقة واخرج المفتاح من حقيبتها.

فتح الباب على عجل وحملها بسهولة الى الطابق الثاني لان لورا كانت قد وصفت بالتفصيل جناحها في القصر. وضعها على السرير بعد ان نزع معطفها لتتنفس براحة.

فجأة اضيء النور في الغرفة فاستدار توم ليجد راندال يواجهه وعيناه تقدحان شرراً.

«انزع يديك القذرتين عن زوجتي والا حطمت رأسك!».

افاقت لورا على صوته فحاول توم تهدئتها:

«لا بأس يا عزيزتي، ابقي مستلقية».

عندها هجم راندال على توم ووجه اليه لكمة شديدة على وجهه طرحته ارضاً.

اصيبت لورا بهلع شديد اذ رأت توم مطروحاً على الارض والدم يسيل من شفته العليا، فصاحت مذعورة:

«لا يا راندال ارجوك!».

تقدم راندال من توم وهو يتوعد:

«اخرج من بيتي ايها الحقير لئلا اجهز عليك».

«عليك ان تفهم تماماً يا سيد راندال...».

لم يسمح راندال توم بأن يكمل كلامه:

«قلت لك اخرج من بيتي!».

«لن اخرج قبل ان افهمك...».

عدل توم عن المتابعة اذ رأى راندال جدياً في تهديده فنهض مرتبكاً لا يعرف ماذا يفعل.

«الم تدرك بعد يا حضرة الطبيب ان لورا اصبحت ملكي الآن. وأنا لست مستعداً لان افرط بها، لذلك اقسم بأني

سأقتلك اذا حاولت ان تراها بعد الآن».

صاح توم في وجهه غير آبه بكونه موجوداً في منزل اناس غرباء:

«وانا اقسم باني سأقتلك اذامسستها بسوء».

امتقع وجه راندال ونظر الى زوجته قائلا:

«هل ذهبت الى حبيبك لتنفسي عن همومك يا زوجتي الوفية المخلصة؟».

توسلت لورا الى توم:

«ارجوك اذهب فهذا افضل لنا جميعاً».

«كيف اتركك مع زوجك المجنون فهو قد يقدم على عمل احمق؟».

اجابه راندال:

«هذا ما سأقوم به اذا لم تذهب فوراً».

«اتظن انني خائف منك، جلّ ما يهمني سلامة لورا».

«لا تخف عليها فلن ألمسها لأني اشمئز من ذلك».

«حسناً سأذهب اذا كانت هذه ارادتك يا لورا، اذا احتجت اليّ فاتصلي بي».

بقي راندال صامتاً بعد مغادرة توم المنزل. جلس يحدق في لورا عابساً وكأنه يخطط لفعل شيء ما.

ارتاحت المرأة لمّا تخلى عن صمته وقال:

«من الافضل ان تخلدي الى النوم لانك تبدين متعبة جداً».

خرج راندال من الغرفة واغلق الباب وراءه بعنف.

جلست لورا في سريرها ترتجف من الخوف والقلق. ماذا

سيفعل بها زوجها؟

وكيف ستواجه مصيرها وتوم بعيد عنها؟ بعد جهد جهيد تمكنت من النهوض لتستعد للنوم.

بينما هي تتقلب في فراشها والدموع تملأ عينيها دخل راندال الى الغرفة. مسحت دموعها فجن جنونه لهذه الحركة الطفولية. امسك بكتفيها وهزها بعنف كدمية خفيفة. ثم توقف فجأة وبدا كأنه سلم بالامر الواقع.

«ما الفائدة من هذا كله؟ حسناً انتصرت ايتها السيدة سأمنحك الطلاق ساعة تشائين».

١٠- السعادة المنشودة

كانت الصدمة أقوى من ان تعلّق لورا على كلام زوجها. سرت قشعريرة في جسمها، عقدت لسانها وسمّرت عينيها من الدهشة. شيئاً فشيئاً بدأت تعود الى الواقع وبدأ عقلها يحلل الموقف فقالت:

«تريد ان تمنحني الطلاق...؟».

كالثعلب الماكر أخذ راندال يراقبها ويدرس انفعالاتها. حرر كتفيها وذهب الى النافذة ينظر الى البعيد. ومن دون ان يلتفت اليها سألها:

«هل تجيبين بصراحة على سؤال واحد؟».

«ما هو؟».

«اذا منحتك الطلاق فهل تتزوجين توم نيكول؟».

أتى الجواب عكس ما توقعه راندال تماماً اذ قالت:

«لا».

نظر اليها وعيناه الداكنتان تحاولان فهم موقفها.

«ماذا تعنين؟ أتعنين انه لا يبادلك الحب؟ يا لك من مسكينة تعلّقين آمالك على شخص مجرد من الشعور!».

جلست لورا على طرف السرير وجسمها النحيل يرتجف كورقة خريفية، مطأطأة الرأس علامة الانكسار.

«توم يحبني على طريقته...».

«ماذا تقصدين بأنه يحبك على طريقته؟».

أخافها صوت راندال القوي فرفعت عينيها اليه وأجابت بارتباك:

«لا اعرف... اعتقد انه لا يحبني كفاية...».

«لم أفهم بعد».

«توم يريد العمل في الدول المتخلفة بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية مما يعني ان مكاني ليس معه في هذه الحياة القاسية. فأنا برأيه رقيقة جداً لا أتحمل شظف العيش».

«أدرك اخيراً انك رقيقة! ولكنه قرر السفر ليبتعد عنك، اما اذا اصبحت حرة فقد يغيّر مخططاته ويبقى هنا ليتزوجك».

«أتعتقد ان هذا سيسهل الأمر عليك؟».

اقترب راندال من السرير مضطرباً، أنفاسه غير منتظمة لأول مرة تلاحظ عليه لورا فقدانه لهدوئه.

«لنطرح عواطفي جانباً الآن لأني اريد قبل ذلك التأكد من عواطفك. سأعيد عليك السؤال، هل تتزوجين من توم نيكول اذا منحتك الطلاق؟».

«قلت لك لا!».

«هل أفهم من كلامك انك لا تريدين الطلاق؟».

«هل تريده أنت؟».

أجاب بحزم:

«لا».

نظرت اليه غير مصدقة.

«أواثق أنت من... ظننت انك...».

سكتت فجأة واغرورقت عيناها بالدموع.

«ظننت ماذا؟».

«انك مللت مني».

تلاقت نظراتهما في صراع عنيف خسرته عيناها. علت الحمرة وجنتيها وامتلأت نفسها برجاء جديد. اقترب راندال ورفع وجهها الى عينيه. لم تستطع لورا النظر اليه مرتعدة من أعماقها.

«انظري الي اريد ان اعرف ما تخبئين في نفسك».

أطاعت الأمر خائفة من أن تفضح عيناها حبها. على الرغم من سراب السعادة الذي تلمحه امامها لم تجرؤ على مفاتحته بكل شيء خوفاً من ان يكون ما يزال يمارس ألاعيبه السابقة.

تفرّس راندال في وجهها جيداً وتوقف طويلاً عند عينيها محاولاً النفاذ الى أعماقها. بعد ان أنهى تفحصه قرر الكلام.

اختار كلماته بدقة لئلا يظهر أي ضعف.

«عندما تزوجتك كنت آمل ان اسمعك تقولين «أنا أحبك» منذ الليلة الاولى. لكن هذا لم يحصل مع الأسف. ومع الوقت لم أعد أطيق ان المسك لأن الشعور بيننا صار مفقوداً».

أتصدق لورا ما يقول؟ أيلمّح انه يحبها؟ لم تعد تفهم شيئاً.

«أتعني... انك تحبني يا راندال؟».

عادت الى وجهه تلك النظرة الساخرة وأجاب:

«احبك حباً جارفاً».

كانت لورا تكره هذه النبرة الهازئة، تكره هذه الألاعيب التي تذلها. أيحاول راندال بحيلة ان ينتزع منها اعترافاً بالحب من جانب واحد؟ اعتراف يخوله امتلاكها روحاً وجسماً هذه المرة، فيتحقق هدف نزعته الامتلاكية.

أطبق راندال على كتفيها فنظرت اليه والكلمات لا تستطيع الخروج من فمها للاعتراض. رأت وجهاً شاحباً وعينين تخبئان شعورا لم تعهده فيه من قبل.

«ألم تسمعي؟ أنا احبك».

«لا... أنا لا أصدقك».

جعلها تستلقي على السرير ووضع عينيه في عينيها.

«ولماذا لا تصدقينني؟ لماذا تعتقدين انني عرضت عليك الطلاق؟ أتعلمين ماذا تكلفني فكرة فقدانك؟ لكني لست قادراً على تحمّل تجاهلك وكرهك لي لحظة واحدة. لست قادراً على رؤيتك تتعذبين معي. لذلك قررت التضحية...».

اخذت دقات قلب لورا تتسارع. الأمل الذي لاح بعيداً بدأ

يتحقق. شمس السعادة شرعت تطل بحياء من خلف غيوم التعاسة الرمادية. ارتسمت على ثغرها ابتسامة فرحة وهمست:

«كف عن الكلام وضمني الى صدرك».

كان عناقه عنيفاً الى درجة انه كاد يخنقها. حرارة الحب التي غلفت عناقه اراحتها وأخمدت نار خوفها لتشعل ناراً اخرى.

«يا الهي كم هو كبير حبي لك يا لورا. انت تفقدينني صوابي».

احست لورا بأن الغرفة تدور بها في رقصة سعادة وخلاص. ماذا تبغي من الحياة اكثر من زوج يحبها؟ وضعت يديها على وجنتيه ورفعت وجهه.

«راندال... حبيبي».

«لورا احببتك من أول نظرة. شرعت بمطاردتك، لأني ظننت اني سأموت ان لم احصل عليك. ولما فعلت ظننت انك تبادلينني الحب. لكن توم قلب المقاييس في وقت لم يعد بوسعي فيه التراجع فأكملت المشوار على الرغم من وجود رجل آخر في حياتك».

«لماذا لم تصرّح لي بذلك؟ لماذا قلت ان قلبي لا يهمك؟».

«لأني خشيت من ان تستغلي ضعفي تجاهك لتزيدي من عذابي.. لو صرّحت لك بحبي لما كنت قبلت بالزواج مني بوجود توم. فاضطررت الى استعمال الابتزاز للوصول اليك، معتبراً اني قادر على كسب ودك تدريجياً. ارجو ان تفهمي مدى اليأس الذي دفعني الى استعمال هذه الطريقة الملتوية».

«لكنك خضت مغامرة كبيرة لأن طريقتك هذه كانت كفيلة

بجعلي اكرهك الى الأبد».

«أعلم ذلك لكني لم أجد وسيلة أخرى لأحصل على حبيبتي الغالية. كان استغلال غلطة والدك أملي الوحيد في الوصول اليك، معتمداً على خبرتي في الاغواء لأجعلك تنسين توم وتقعين في غرامي».

«وهذا ما حصل فعلا».

«ماذا؟ لكنك لم تظهري ما يلمّح الى ذلك. متى بدأت تشعرين نحوي بالحب؟».

هزت كتفيها علامة الجهل:

«لا ادري، ربما احببتك منذ لقائنا الأول لكن حبي لتوم كان جزءاً من حياتي، كان عادة. والانسان يصعب عليه التخلي عن عاداته. لكني اعترف ان عناقك كان يجعل رأسي يدور».

ضحك راندال وقال:

«جسمك يعترف بما ينكره قلبك. متى تأكدت من انك تحبينني؟».

«في البندقية بعد السهرة عند انطوانيت بيل».

«لاحظت عليك شيئا من ذلك عندما رقصنا سوية».

«تفهمني احسن من فهمي لنفسي. في تلك السهرة شعرت بالغيرة عندما رأيتك برفقة تلك المرأة المحنكة وعندما تصورت انكما كنتما حبيبين».

«وأنا شعرت بالشيء نفسه عندما رأيتك الليلة مع توم نيكول. اشكر الله اني لم أقتله لأني لم أعِ ما كنت أفعل».

«لا اخفي عليك اني خفت على نفسي منك».

مرر راندال يده على عنقها مداعباً.

«كنت في الحقيقة أرغب في قتلك، لكن عينيك الدامعتين غيّرتا رأيي. قررت ان اعطيك حريتك كي لا تتعذبي».

تنهد وأضاف:

«أود ان اسمعك تقولين ان حبك لتوم قد انطفأ».

«لم أعد أحبه. كان ذلك سراباً. ما اكنّه لك مختلف كثيراً».

قبلته على خده وهمست، احبك يا راندال...».

«توم نيكول رجل احمق! لولا مبادئه لأصبح زوجك ولكنت فقدتك الى الأبد».

«عندما اتخيّل نفسي زوجة توم ادرك الفارق بينك وبينه. توم رجل صالح وطيب لكنه ليس مناسباً لي وليس قادراً على اسعادي».

«كلامك صحيح، هناك هوة سحيقة بين الحياة التي يعيشها توم وما باستطاعتي تقديمه لك. عليك ان تعوّضي عليّ منذ الآن فصاعداً كل العذاب الذي تحملته».

التصقت به لورا وقالت:

«آسفة يا حبيبي، لو علمت بالحقيقة قبل الآن لكنا وفّرنا على نفسينا هذه المعاناة».

«كان مستحيلا ان اعلمك بما في قلبي مخافة ان اصير عبداً لك تتحكمين برقبتي!».

انفجر راندال ضاحكاً بعد هذه الكلمات وكأنه يفجّر في ضحكته كل ما اعتصر قلبه من ألم وما أدمى روحه من حزن.

قالت لورا والعاطفة تهدج صوتها:

«لماذا لم تلمّح لي بذلك على الأقل. لم أشك يوماً في انك تحبني خصوصاً بعد ان عاملتني بقسوة بالغة في بعض الأحيان».

«لا تستغربي ذلك من رجل يخاطر بجعل امرأة لا تحبه شريكة حياته. الغضب والغيرة والخوف على افلاتك من يدي عوامل جعلتني اتعمّد ايذاءك لتخضعي لي».

«فهمت الآن لماذا كنت وحشاً مفترساً ليلة عودتنا من البندقية».

«كم كنت يائساً يا حبيبتي عندها لأني ظننت اني فقدتك الى الأبد وقد عدنا الى لندن حيث تكونين بقرب حبيبك توم».

«سامحك الله يا راندال، كان عليك ان تصارحني فأنا كنت بانتظار اشارة لأعترف بحبي».

هزّ راندال برأسه معترفاً بصحة كلامها:

«أنت على حق. كنت جباناً لأني لم افعل. لم استطع السيطرة على نفسي، كنت عائشاً في جحيم مستعر».

خطر للورا سؤال طالما قض مضجعها في الفترة الأخيرة:

«اخبرني عن حقيقة علاقتك بانطوانيت».

ضحك راندال وقال:

«لن اخفي عنك اعجابي بانطوانيت لكن علاقتنا لم تتعد يوماً حدود الصداقة البريئة».

تنفست لورا الصعداء وسألته:

«لا تنكر انك اقمت علاقات مع نساء كثيرات، فكيف يمكن ان اطمئن الى انك ستبقى وفياً لي».

«تأكدي يا لورا اني لم احب واحدة من جميع النساء اللواتي

مررن في حياتي. انت الوحيدة التي عرّفتني الى الحب الحقيقي. معك عرفت مدى الوقت الذي اضعته باللهو والعبث».

وجدت لورا ان الفرصة مؤاتية لتعلمه بحملها فوضعت وجهها على صدره وقالت:

«لدي شيء مهم اقوله لك».

نظر راندال اليها بقلق متوقعاً خبراً سيئاً يفسد سعادته.

«أنا حامل يا راندال».

لوهلة ظنت لورا انه لم يسمع ما قالت، ثم اضاء وجهه فرح عارم.

«هل أنت متأكدة؟».

«كل التأكيد».

«يا الهي! لماذا لم تعلميني بذلك قبل الآن؟».

«لأنني انتظرت رأي الطبيب ولهذا ذهبت اليوم الى توم».

«أتعنين انه قام بمعاينتك؟».

«لا تكن غيوراً يا حبيبي. رفض توم ان يكون طبيبي. في اي حال، كان ذلك حماقة مني».

«رفض الاعتناء بك لأنه يحبك أليس كذلك؟».

اومأت بالايجاب.

«ولكن لماذا أغمي عليك يا لورا عندما صرّح لك توم بحبه. اما زلت تحبينه؟».

«كلا، ولكني حامل ولا احتمل الصدمات. صرّح توم بحبه في وقت كنت فيه على حافة الانهيار بسببك. أحبك وأنت تهملني، غير آبه بي، تعاملني كقطعة أثاث في قصرك الفخم».

«كوني على ثقة انك أغلى هذه القطع وأعزها الى قلبي.»
ضحك راندال وتابع – لا عليك يا حبيبتي سأعوّض لك كل ما سببته من آلام».

«وأنا سأفعل الشيء نفسه».

«عليك بعد اليوم الاهتمام جيداً بنفسك حفاظاً على الجنين».

وضع راندال الغطاء فوقها بكل رفق وأضاف:

«الزكام مضر كثيراً بالحوامل وخاصة بالنحيلات منهن».

«أتصور نفسي كيف سأكون بعد بضعة شهور، بالطبع لن يعجبك شكلي المستدير».

قهقه راندال من الضحك وأخذ يقبل يديها الناعمتين بحنان.

«لا تخافي يا عزيزتي فأنا احب الاشكال الطريفة!».

داعبت لورا شعره الاسود وأغمضت عينيها لتتمتع بالسعادة التي وجدتها بعد طول بحث وعناء.

عندما افاقت في اليوم التالي فوجئت لورا لوجود راندال قربها. كانت سعيدة الى درجة انها شعرت برغبة في الغناء. طوقها راندال بيده القوية وشدها اليه.

«ألم تتاخر على عملك يا حبيبي؟».

«الموظفون قادرون على تسيير الأمور بدوني. أرغب اليوم في البقاء بقربك».

تذكرت لورا بمرارة الأيام الماضية وتنهدت قائلة:

«كم كنت احزن عندما كنت أفيق في الصباح وأجدك قد

ذهبت من دون ان توجه لي كلمة واحدة».

«أعدك يا لورا بأن هذا لن يحدث مطلقاً بعد الآن الى درجة انك ستضطرين الى طردي من السرير لأذهب الى العمل!».

«وما رأيك لو ابقيتك هنا؟».

«أنا مستعد للبقاء طوال النهار في هذا السرير».

«ألن تملّ من ذلك؟».

«من يفكّر بالملل بوجودك؟».

بعد قليل شعرت لورا بالجوع فتململ راندال عندما حاول النهوض.

«أنا جائعة يا عزيزي».

«يا لتفكيرك السطحي، ألا تفكرين الا بالأكل؟».

ضحك راندال وسمح لها بالنهوض. وأخذ يراقبها بشغف وهي تتنقل في الغرفة وتستعد للنزول.

«المشهد من هنا رائع يا حبيبتي لورا».

«ألن تنهض من السرير اليوم؟».

«لا. تعالي الى هنا».

ضحكت لورا وخرجت.

في غرفة الجلوس كان والدا راندال يطالعان الجرائد والمطالعة هي المرحلة الثانية بعد الفطور في برنامج حياة آل مرسييه.

قبلتهما لورا وقالت:

«أعلم ان الأمر ليس من شأني».

تدخل زوجها مقاطعاً:

«نعم، الأمر ليس من شأنك. دعي راندال ولورا يتدبران

شؤونها بنفسها».

«لكن لورا ليست على ما يرام. فهي تبدو شاحبة و...».

لم تدعها لورا تكمل كلامها اذ بادرت الى القول:

«لا عجب في ذلك عندما تكون المرأة حاملا».

ساد الغرفة صمت تام. وضع ايف مرسييه الجريدة على الطاولة امامه في حين اخذت زوجته تحدق بلورا باهتمام.

احمرّ وجه لورا من الخجل وفسرت:

«انتابتني أعراض الحمل في المدة الأخيرة ويبدو الآن ان الأمر أكيد».

انتقل والد راندال ليجلس الى جانبها ووضع يدها في يده.

سألتها السيدة مرسييه:

«هل يعلم راندال بالأمر؟».

في هذه اللحظة دخل راندال الى الغرفة منشرحاً، نشيطاً.

«عن أي امر تتكلمين يا أماه؟».

دهش والداه لوجوده في البيت فسأله ابوه:

«لماذا لم تذهب الى العمل؟».

«الا يحق لي منح نفسي يوم اجازة؟».

أجاب الوالد موافقاً:

«بالطبع، لكن هذا ليس من عاداتك».

تناول راندال طبقاً وجلس الى جانب زوجته التي رمقته بنظرة ملؤها الحب والحنان.

«منحت نفسي اجازة لأن اليوم الذي يعلم فيه المرء انه سيصبح اباً يوم خاص يستحق ذلك».

تنفس العجوزان الصعداء واطمأن قلباهما الى سعادة راندال وزوجته.

التفتت لورا صوب السيدة مرسييه وتساءلت اذا ما كانت المرأة مطلعة على كل ما جرى بينها وبين راندال.

اطل رئيس الخدم باناقته وهدوئه المعهودين فسأله راندال:

«ما الأمر؟».

«هناك طبيب يدعى توم نيكول يريد مقابلة السيدة لورا».

وقف رئيس الخدم كالتمثال ينتظر الأوامر ليتصرف.

لاحظت لورا بوضوح بريق الغيرة في عيني زوجها عند لفظ اسم توم.

«هل تريدين مقابلته يا لورا؟».

«نعم يا راندال، سأرى ماذا يريد».

هبّ الرجل من مقعده وقال:

«لا لن تريه وحدك، سنفعل ذلك سوية».

«حسناً يا عزيزي، هذا أفضل».

نظر السيد مرسييه الى زوجته التي لم تكن تفهم اكثر منه ما يجري بين العروسين.

«ماذا يحدث يا ترى؟».

«لا شيء مهماً يا ايف، اعتقد انهما يتدبران الأمور جيداً».

كان توم ينتظر في الرواق قلقاً، عابساً، يحمل بيده حقيبته السوداء. دهش لما رأى الزوجين الشابين يسيران ويد الواحد في يد الآخر، وابتسامة لورا العريضة لا تمت بصلة الى ما حدث بالأمس.

«جئت لأطمئن على لورا ليس الا».

«ما عليك يا سيد توم الا ان تنظر اليها لترى».

نظرت لورا الى توم بقلق لأنها لا تحتمل كونه يتعذب من أجلها.

«أنا بخير يا توم، لا داعي للقلق».

لم يعد توم يدري ما يقول فتمتم:

«كان عليّ التأكد من ذلك لأني لم استطع النوم البارحة».

علّق راندال متهكماً:

«ونحن كذلك لم ننم...».

لم تستسغ لورا استهزاء راندال الذي بدا آسفاً لما قاله.

اتجه توم نحو الباب وقال:

«سأنسحب اذاً بما انك بخير يا لورا».

استوقفه راندال وأبلغه:

«لا تشغل بالك يا سيد نيكول، سأعمل جهدي لأسعد لورا وأجعلها المرأة الأكثر دلالا في العالم».

وقف توم صامتاً يفكر في غرابة الموقف. بعد قليل تكلم وبدا مقتنعاً:

«شكراً يا سيد راندال. أنا سعيد لأن الأمور سوّيت بينكما».

ارادت لورا ان تقبل توم قبلة الوداع لكن غيرة راندال التي لم تخمد بعد جعلتها تعدل عن ذلك. اكتفت بالقول:

«الى اللقاء يا توم، شكراً لك على مجيئك».

خرج توم وكان صوت اغلاق الباب مؤذناً برحيله الطويل.

«آسف لأني تصرفت بغباء يا حبيبتي. لكني لم استطع التغلب

على غيرتي بعد».

«سأحب توم دائماً».

قبل ان ينفجر راندال غضباً أوضحت لورا:

«سأحبه كأخ، كصديق، كأب. لا استطيع بين ليلة وضحاها نسيان السنين التي امضيناها معاً. سأشتاق اليه أينما كان».

«فهمت يا حبيبتي».

«اطمئن يا راندال، توم لن يتدخل في حياتنا بعد اليوم. ألم تدرك انني احبك أنت. توم أخي وأنت... وضعت ذراعيها حول عنقه وجذبته اليها، انت حبيبي».